الجزء الأول

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، والصلاة والسلام على المصطفى المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، الغر الميامين، الذين نصر الله بهم رسوله وأعز بهم الدين، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه ونبيه وحبيبه .. نشهد أنه ﷺ قد أدَّى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتَّى كشف الله به الغمة ، فما مات ﷺ حتَّى بلغ كل ما نزل إليه من ربه دون خوف من أحد أو تردد لسبب!! كما يزعم بعض المنحرفين، بل إن ربه عز وجل أيده فيما أيده برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فنصروا الله ورسوله، وأعز بهم الله دينه..

ثم أما بعد :

فمن المعلوم أن لكل أمة رموزها وثوابتها، رموزها من الرجال العظماء، ومن القادة الزعماء الذين لا يألون جهداً في سبيل ترسيخ قيم الحق وإرساء قواعد العدل، وعلى رأس هؤلاء العظماء - ولا شك - الأنبياء وأصحاب الأنبياء، ولما كان نبينا محمد ﷺ خير الأنبياء، فإن أصحابه خير أصحاب الأنبياء، وأزمته خير الامم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولكل أمة ثوابتها من العقائد والأفكار، والتي يُطلق عليها في الفكر المعاصر (الأيديولوجيات) تلك الثوابت هي التي تُبذل في سبيل ترسيخها الأنفس وترخص الدماء، والخصوم - أي خصوم - حين يستهدفون أمة من الأمم يسعون ابتداء للنيل من ركنيها الركينين : رموزها .. وثوابتها.. لأنهم إن أفلحوا في

تشويه الرموز، وهدم الثوابت، كانوا أقرب إلى النصر بقدر ما يكون خصومهم أقرب للانهيار.

ولئن كانت كل أمة تُحدد بنفسها تحديداً وضعيًا بشريًا رموزها وثوابتها بناء على عقائدها وأفكارها وفلسفتها - أيديولوجياتها - فإن أمتنا - نحن المسلمين- ما تُركت وذاك، بل لقد حُددت لها ثوابتها من العقائد، ورموزها من العظماء تحديداً شرعيًا لا وضعيًا، وهو منصوص عليه بنصوص قطعية من القرآن العظيم والسنة الثابتة الصحيحة فيما يعرف بأصول الدين الثابتة عند المسلمين، والحديث عنها تفصيلاً ثابت في كتب العلماء بما لا مزيد عليه.

غير أن أصواتًا - لا تخفي أصولها القديمة، ولا روافدها الحديثة - قد انبعثت كنعيق البوم، أو كنهيق الحمر ﴿ **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: ١٩] انبعثت هذه الأصوات تُريد النيل من ثوابت المسلمين، ومن رموزهم، فهم يشككون المسلمين في قرآنهم الذي ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** (٤٢) ﴾ [فصلت: ٤٢] وفي سنة نبيهم ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠] ولما كان الصحابة ﷺ هم الناقلون لهما، كان الطعن فيهم من لوازم التشكيك فيهما.

وسأبدأ - إن شاء الله تعالى - بالحديث عن الصحابة ﷺ لأسباب منها:

■ أن هؤلاء الضالين المنحرفين أصبحوا يتجرءون على الصحابة ﷺ جرأة عظيمة، بل بدأوا - لحقدهم - يجهرون بضلالاتهم تلك مستغلين أحداثًا تاريخية - من جهة - وجهل الناس بطبيعة هذه الأحداث - من جهة ثانية - .

■ أن هؤلاء الضالين المنحرفين حين يحاولون التشكيك في القرآن الكريم والسنة الشريفة، إنما يفعلون ذلك خفية وعلى حين غفلة من الأمة، فهم غالبًا لا يجهرون بذلك إلاَّ في نواديهم المنكرة، يُربُّون عليها من يهيئونه من الأحداث لحمل وزر مآثمهم العظيمة، وهذا في حد ذاته من الخطورة بمكان، حيث

يحرصون على إنكار معتقدهم هذا ونفيه إلاَّ إذا واجههم من يعرف حقيقة أقوالهم المنكرة مسنداً ما يقول إلى كتب مشايخهم، مُثبتًا ذلك من مراجعهم – قديمها وحديثها – فإنهم حينئذ ينظرون حولهم نظر المغشي عليه من الموت، ثم يبحثون عن وَزَر.

■ أن ثبوت القرآن الكريم والسنة الشريفة، مما تناوله العلماء وتناقلوه خلفًا عن سلف حتَّى استقر العلم به لدى العوام والعامة والنساء والصبيان فضلاً عن الخاصة وأولي العلم والرجال، فثبوت القرآن الكريم والسنة الصحيحية من المعلوم من الدين بالضرورة، لا يشك فيه فضلاً عن أن يُنكره إلاَّ كافر مرتد، اسودَّ باطنه قبل ظاهره.

ولعلك – أخي القارئ – متشوّق لمعرفة هؤلاء الضالين المنحرفين بأعيانهم وأسماء فرقهم الضالة، غير أني آليتُ على نفسي أن يأتي هذا البحث عامًا، بدون أن نتناول فيه أحداً باسمه؛ ليكون علميًا موضوعيًا، وما عليك – وأنت تنشد الحق – إلاَّ أن تنظر فيما نذكر لك، فمن سمعته يقول بشيء منه ؛ فاعلم أن الحكم الذي نصل إليه هو حكمه، والأهداف الخبيثة التي تقف وراء هذه الحملة المسعورة على الصحابة ﷺ هي أهدافه، فتستطيع فضح حقيقته، ويسهل معرفة ضلاله ثم يتعين عليك وجوبًا شرعيًا التصدي له ومجابهته «**من رأى منكم منكرًا فيلغيره...**» .

فمثلاً : إذا سمعت أحداً يسب أيًا من الصحابة ﷺ أو يلعنه، فاعلم أنه زنديق منافق – كما سنثبته في البحث – إن شاء الله تعالى، بغضّ النظر عمن يكون هذا الشخص الذي يسب الصحابة، ومهما كانت منزلته ومكانته، حتَّى وإن ادَّعى أنه من العلماء والعارفين و... فما نيل المطالب بالتمني، وإذا سمعت من يزعم أن في القرآن تحريفًا، فاعلم أنه كافر مرتد، مهما زعم لك عن علمه!!

وعن شهاداته وعن إجازاته؛ فالحكم لا يكون على الأشخاص ولا الأسماء إنما يكون بحسب ما يصدر عنهم من حق أو باطل.. ومن كفر ونفاق أو إيمان وإحسان.

وقبل البدء في موضوع الكتاب، أجد من الأهمية بمكان أن أعرض بعض الفصول المهمة، التي تُعين القارئ على فهم مادة الكتاب، وتحذره من بعض وسائل القوم في الخداع والتلبيس على من يدعونه إلى منهجهم،

وقد جعلتها خمسة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول

من الثوابت عند المسلمين

من المعلوم لجميع المسلمين أن للإسلام أصولاً وأركانًا لا يستطيع مسلم إنكارها، بل ولا يجوز له الجهل بها، ولهذه الأصول مكانة خاصة في قلب كل مؤمن، فهي معظمة مقدَّسة، وإنكارها كفر وخروج من الدين، كالاعتقاد بوحدانية الله عز وجل وبأن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله، وبأن الصلاة المكتوبة فريضة واجبة، وبأنه لا يجوز الاستهزاء بشيء من شرائع الإسلام أو شعائره، وكالاعتقاد بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى وأنه غير مُحرَّف، وبأن المسلمين ملزمون باتباع سنة النبي ﷺ وما ثبت من الحديث الصحيح، بل إنه لا يجوز لمسلم إنكار حرف واحد من القرآن الكريم، أو حديث صحيح ثبتت نسبته للنبي ﷺ، كما لا يجوز الرد على الله تعالى وعلى نبيه ﷺ، وغير ذلك من الأصول التي تلقاها المسلمون بالقبول والإجماع.

ومن البدهي أنَّ أصل هذه الأصول، القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عنه ﷺ، إذ بهما عرفت سائر الأصول بل عرف الدين كله، لذا فقد تعهد الله عز وجل بحفظهما حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المقصود بالذكر في الآية الكريمة القرآن والسنة معًا، مستشهدين لذلك بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ومن المعلوم أن الناقل للقرآن الكريم والحديث الشريف هم الصحابة رضي الله عنهم، ومن ثَمَّ كان الطعن فيهم طعنًا في القرآن الكريم والحديث الشريف وتشكيكًا في صحتهما.

ولذا قال الإمام أبو زرعة الرازي - رحمه الله - : «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن محمد حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا الحق أصحاب محمد ﷺ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا العمل بالكتاب والسنة، والجرح بهم أولى لأنهم زنادقة» . اهـ.

الفصل الثاني

خطورة الطعن في الصحابة رضي الله عنهم

سبق القول أن الصحابة رضي الله عنهم وبنص القرآن الكريم هم المؤمنون حقًا، المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وهم الذين وعدهم الله عز وجل مغفرة لذنوبهم وأجرًا عظيمًا لصدقهم وحسن بلائهم، بل هم الذين أعدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، المهاجرون منهم والأنصار، من أنفق منهم قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق منهم من بعد الفتح وقاتل ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] [١].

ومن هنا نُدرك الخطورة العظيمة المترتبة على الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، والتي بيَّنها بوضوح وجلاء كلام الإمام أبي زرعة الرازي - رحمه الله - والذي سقته لك في الفصل الأول.

كما بيَّنه أيضا قول ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية» المجلد الخامس (ص٢٥٢):

«من ظنَّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك أي التواطؤ على مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ ومضادته في حكمه، ومن وصل إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام، وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام بزينة الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان، عياذًا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان والكفران، وملاذًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن والوفاة على

---

(١) بل ذهب ابن حزم مُستدلاً بهذه الآية إلى أنَّ جميع الصحابة في الجنة، راجع كتابه «اعتقاد أهل السنة في الصحابة» للدكتور / محمد عبد الله الوهيبي.

الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان والنجاة من النيران والفوز بالجنان، إنه كريم منَّان، رحيم رحمان» اهـ.

ويمكننا أن نوجز خطورة الطعن في الصحابة ﷺ وما يترتب على هذه المطاعن الكاذبة المفتراة فيما يلي:

■ الطعن فيهم تكذيب صريح وردٌ قبيح لما ورد في فضائلهم وما وعدهم الله وأعدَّ لهم في كتابه تعالى والسنة الثابتة الصحيحة، وقد سبق بيان حكم هذا العمل.

■ الطعن فيهم يُؤدي إلى التشكيك في علم الله وقدرته، لأسباب منها:

[١] كيف يمدحهم الله عز وجل في كتابه ويثني عليهم ويصفهم بما ذكر سبحانه من الإيمان والصلاح والإخلاص، ثم يزعم الطاعنون عكس ذلك؟!

[٢] كيف ينص القرآن الكريم على أن الله عز وجل قد ذكرهم في التوراة والإنجيل قبل أن يخلقهم بمئات السنين، مما يدل على أن الله اختارهم اختياراً، وفق سابق علمه سبحانه لصحبة نبيه ﷺ لما علم فيهم من الإيمان الذي يؤهلهم لذلك الشرف العظيم، ثم يزعم الطاعنون عكس ذلك فينسبون الصحابة ﷺ إلى الفساد الديني والإيماني والخلقي؟! ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥** ﴾ [الكهف: ٥].

[٣] هل يعجز ربنا سبحانه عن إصلاح صحابة خاتم رسله الذي أرسله بالدين الخاتم الذي ارتضاه للعالمين فقال عز وجل: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] بينما نجد بعض الزعماء من غير المسلمين، بل ومن أشد الناس كفراً، نراهم ذوي أنصار يعدون بمئات الآلاف، بل وبالملايين يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرة زعمائهم؟ بينما لا يفلح رسول الله المؤيد بالوحي على زعم هؤلاء الضالين المنحرفين إلاَّ في

تربية سبعة من بين الآلاف الذين شرفوا بصحبته وآمنوا به ﷺ ؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (١) .

[٤] إذا كان محمد ﷺ قد فشل في تربية أصحابه – كما يزعم هؤلاء الطاعنون – أفلا يدل ذلك على أن الله لم يُحسن اختيار خاتم رسله الذي اختاره لآخر رسالاته ولإنشاء خير أمة أُخرجت للناس؟! ونحن نعوذ بالله من هذاالكفر كله، وإنما أوردنا ذلك لأنه من لوازم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم ومما يلزم الطاعنين اعتقاده وإن لم يقروا به ظاهراً.

[٥] الطعن فيهم يؤدي إلى الطعن في النبي ﷺ نفسه ؛ إذ كيف يفشل – كما يزعم الطاعنون – في تربية أصحابه الذين آمنوا به واتبعوه ورأوه وعرفوه بينما ينجح ملحد كافر مثل ماركس في تربية الملايين وأكثرهم لم يروه ولم يعرفوه؟!

ولا يرد علينا بأن هناك أنبياء يبعثون يوم القيامة ولم يؤمن بهم أحد؛ لأن الصحابة قد أسلموا فعلاً وآمنوا واتبعوا وأخلصوا دينهم لله – كما نصَّ بذلك القرآن الكريم – ومن هنا فإن القول بانحرافهم طعن في المربي محمد ﷺ قبل أن يكون طعنًا فيهم؛ لأن الذي نفهمه ويفهمه كل عاقل أن ينحرف أو يرتد واحد أو آحاد من عامتهم أما أن يكون الانحراف أو تكون الردة في كل الصحابة، بل في خيارهم عدا سبعة !! فهذا طعن في علم الله وقدرته وكتابه ورسوله ﷺ، مما لا ينجم إلاَّ عن حقد أسود باطنه اليهودية السبئية وظاهره الإسلام.

[٦] والطعن فيهم والقول بانحرافهم فضلاً عن نفاقهم وردتهم لابد أن يؤدي إلى القول بتحريف القرآن والسنة الشريفة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوهما وأدوهما إلينا . (راجع كلام الإمام أبي زرعة والإمام ابن كثير في الجزء

---

(١) قال لي أحدهم يومًا : أيعقل أن يكون مائة ألف من الصحابة عدولاً؟ قلت : فهل ترى الله سبحانه وتعالى عاجزاً عن ذلك في حق نبيّه ، بينما يسره له ماركس ولينين» فسكت ، والمراد به يسّره لماركس» أي أنه له آلاف الأتباع المخلصين لدعوته رغم كفره وكفرهم، وليس المراد أنهم عدول.

الأول من هذا الكتاب) وقد صرح الطاعنون فعلاً بتحريف القرآن وتبديل السنة، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله .

[٧] الطعن فيهم ثم امتداح أجيال تأتي بعدهم بحجة أن الأئمة هم الذين أكملوا المهمة الرسالية ، وربّوا هذه الأجيال، يؤدي إلى القول بأن غير رسول الله ﷺ قد نجح فيما لم ينجح هو فيه، وقد صرح الطاعنون بذلك أيضًا [١] كما سنبينه فقاتلهم الله أنّى يؤفكون .

فإذا ما اكتفينا بما سبق من لوازم المطاعن التي يطعن بها الضالون المنحرفون على صحابة خير المرسلين ﷺ وما ذكرناه قليل من كثير، وغيض من فيض من بحار ظلماتهم خرجنا حسب مزاعمهم بل وافتراءاتهم بما يلي :

[١] يلزم الطاعنين أن يعتقدوا أن الله عز وجل ليس عليمًا ولا قديرًا ولا حكيمًا سبحانه .

[٢] يلزم من مطاعنهم القول بأن خبر القرآن ليس حجة ولا صادقًا ولا صحيحًا .

[٣] يلزم من مطاعنهم القول بأن خبر الحديث ليس حجة ولا صادقًا ولا صحيحًا .

[٤] يلزم من مطاعنهم القول بأن النبي ﷺ لا يصلح للرسالة ولا للنبوة؛ لأنه بزعمهم يفشل في القيام بأهم أعماله ومهامه الرسالية كحفظ القرآن الكريم ولو في حياته وفي تربية أصحابه .. إلخ .

[٥] يلزم من مطاعنهم القول بأن غير النبي ﷺ سيؤدي ما لم ينجح النبي ﷺ في أدائه، ومن هنا خرجوا علينا ببدعة عصمة الأئمة وغيرها .

[٦] يلزم من مطاعنهم القول بتحريف القرآن - وقد قالوا - والقول بسنة غير السنة الثابت الصحيحة - وقد فعلوا - .

وسيأتي بيان ذلك في موضعه من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى .

---

(١) راجع « أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف » لمحمد باقر الصدر .

الفصل الثالث

الوحدة الإسلامية

لا تكاد تسمع للبعض كلامًا أو تقرأ كتابًا أو تدخل معه في حوار حتَّى يلح على ضرورة الوحدة بين المسلمين، وهذا جميل.

ولكن القبيح جدًا، أن تكتشف أن هذه الوحدة المزعومة ليست إلاَّ سرابًا، بل ليست سوى قناع كاذب تختفي وراءه الأهداف الحقيقية الخبيثة لهؤلاء الطاعنين، إذ ليست دعوتهم تلك إلاَّ استدراجًا للسذج حتَّى يقعوا في الشَّرَك الذي أُعدَّ بإحكام! ذلك أنك لا تكاد تسير معهم قليلاً حتَّى تجد خلافات جوهرية في أصول الدين بينك وبين هؤلاء الداعين لما يسمونه «الوحدة الإسلامية» وإلاَّ فأي وحدة يمكن أن تنشأ بيننا وبين الذين يقولون بتحريف القرآن الكريم، وينكرون الثابت الصحيح من سنة خاتم النبيين ﷺ، ويطعنون في الصحابة خير من وطئ الحصى بعد الأنبياء والمرسلين فيرمونهم بالكفر والردة والنفاق، وفي أحسن الأحوال يسبونهم ويلعنونهم ويجعلون ذلك عبادة يتقربون بها إلى الله تعالى.

ولا شك أن الوحدة الإسلامية وانتظام المسلمين في عقد جامعة إسلامية واحدة أمل كل مسلم مؤمن غيور على دينه وأمته، ولكن الذي نفهمه هو أن هذه الوحدة إنما تكون بين المسلم وأخيه المسلم، أما أن تكون بيننا وبين هؤلاء فلا، حتَّى يتوبوا أو يلج الجمل في سمِّ الخياط.

ولكي تقف على الحقيقة الكامنة وراء هذه الوحدة المزعومة، أدعوك أخي المسلم للرجوع إلى مقدمة الجزء الأول من الموسوعة الرائعة للدكتور علي أحمد السالوس، حيث ذكر الأسباب التي دعته - رحمه الله - إلى تأليف موسوعته تلك، ولا ينبئك مثل خبير.

الفصل الرابع

المتقدمون منهم والمتأخرون

قلت لأحدهم يومًا: ولكنكم تسبون عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال: لا، إنما يفعل هذا المتقدمون الجامدون، أما المتأخرون المتنورون فلا يفعلون.

ولم تمضِ سوى أيام حتَّى نما إلى علمي أن أحد دعاتهم المتأخرين جدًا قد ضُرب داخل حجرة الدراسة من بعض طلابه الغيورين؛ لأنه نال من أم المؤمنين رضي الله عنها.

قلت: هم كما قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾ [البقرة: ١١٤]، ثم تمر أيام أخرى لأسمع بأذني متأخر آخر من كبار دعاتهم [١] يقول في قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤]، قال - فض فوه -: «نزلت في حفصة بنت عمر، وعائشة بنت أبي بكر، و﴿ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي مالت إلى الكفر» ثم أردف كاذبًا أنَّ هذا بإجماع المفسرين!!!.

وقلت لآخر: ولكنكم تقولون إن القرآن محرف!.

قال: يكذبون علينا !!

قلت: فما رأيك في كتاب «كذا» لـ«فلان» ؟

قال وقد كست وجهه صفرة الخزي: هذا رأي لواحد من المتقدمين أما المتأخرون فلا يقولون.

قلت: سأفترض جدلاً أنك صادق .. ولكن ما حكم من يقول بهذا؟ وهل صرَّح بهذا الحكم أحد من المتقدمين أو المتأخرين؟ وأين نجد هذا؟ فسكت.

قلت: إن يكن هذا حالكم، فلا خير فيكم أجمعين من متقدمين ومتأخرين.

---

(١) هو الهاجري من دعاتهم بالكويت في شريط موجود في المكتبات بعنوان «حوار مع شيعي».

الفصل الخامس

من مناهج البحث عند الطاعنين

من المأثور عن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «إن القرآن حمال أوجه» ومع أن مراد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه واضح كالشمس لا يختلف فيها اثنان، إلاَّ أن بعض العلمانيين قد زعم بعقله «المتنور ظُلْمةً» أن العبارة دعوة لترك الاحتجاج بالقرآن الكريم، ولوأنَّ هؤلاء الطاعنين المنحرفين، قد قالوا ما قاله إخوانهم من العلمانيين؛ لَبَان وجههم القبيح، وقُضي الأمر، غير أنهم لم يفعلوا، بل راحوا يتبعون مناهج أخرى أشد خفاء وأكثر خبثًا ودهاء، ومن ثم فهي أعظم خطر وأنكى أثرًا، وكذلك شأن المنافقين.

فمن مناهجهم في البحث - إن صحَّ لهم مناهج أو أنهم للبحث أهل -:

[١] الزعم بتحريف النص القرآني، وخاصة ما لا يتَّفق وأهواءهم مما لا يستطيعون تحريف معناه عن مراد الله عزَّ وجل.

[٢] تحريف معنى النص القرآني، بحيث يكون المعنى الذي يزعمونه موافقًا لانحرافاتهم، ولهم في ذلك أعاجيب وخرافات تأباها عقول الصبية، وهذا أكثر ما يلجأون إليه؛ لأنه يجنبهم مزالق التصريح بتحريف النص صراحة؛ ولأنه من جهة ثانية أكثر انطلاءً على السذج والجهلة.

[٣] الزعم بأن عندهم أحاديث وسُنَّة خاصة بهم، ولكي يمرروا باطلهم فهم يزعمون أنهم يجيزون الأخذ بما عندنا وما عندهم، على طريقة (تعبد إلهنا عامًا ونعبد إلهكم عامًا) ، وهم كاذبون في زعمهم ذلك؛ حيث لا ينتقون عن كتب أهل الحق إلاَّ ما يرون فيه نصفة لهم - فأهل الحق يُنصفون أعداءهم ولو من أنفسهم - أو ما يرون بعقولهم العاجزة وأفهامهم القاصرة

أنه إلزام لنا بما عندنا، وفي كل الأحوال ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٩]، ولا عجب في ذلك فهذا هو منهج أسلافهم من اليهود، وقصصهم في ذلك كثيرة ومعروفة.

[٤] يوردون بعض الأحاديث مع إضافة أو حذف لكلمة أو أكثر، مما يُغيّر في معنى الحديث، بل ويبدله أحيانًا، كل ذلك بما يتفق وتحريفاتهم وعقائدهم الفاسدة، ولي مع أحدهم موقف في هذا الصدد هو من المضحكات المبكيات، وسيأتي في باب «حوارات» إن شاء الله تعالى.

[٥] ينسبون لكتب أهل السنة وسائر مصادرهم ما ليس فيها، وحين يذكرون شيئًا منها يجتثونه من موضعه على طريقة «فويل للمصلين».

[٦] ينسبون لعلماء أهل الحق من ليس منهم ممن يتفق معهم في بعض مزاعمهم كابن أبي الحديد.

[٧] يذكرون أسماء لبعض دعاتهم أو مؤلفاتهم مما لها نظير عند أهل الحق موهمين القارئ أو السامع أن هذا من «الفريق الآخر مثل «اللالكائي، والطبري» وأحيانًا يقولون: قال الحافظ ابن حجر، موهمين أنه صاحب فتح الباري، ويكون المقصود ابن حجر الهيثمي، وهو من أهل السنة، لكنه غير صاحب الفتح فلا يُقال فيه «الحافظ».

[٨] ينقلون عن كتب أهل الحق ما يوافق أهواءهم، وقد يكون هذا المنقول موضوعًا أو ضعيفًا، غير أن الناقل كذبًا منه وإيهامًا لا يذكر تحقيق أهل الحق له، وربما ينقلون الحديث الصحيح، ولكن على النحو التالي:

﴿أ﴾ يذكرون رواية واحدة من رواياته، مهملين سائر الروايات؛ لأنها تضاد هدفهم وتفضح كذبهم، كما فعل التيجاني السماوي وسيأتي بيانه.

﴿ب﴾ يذكرون فقرات من الحديث مع إهمال باقيه عن عمد؛ لأن الأجزاء التي أهملوها تعارض أغراضهم الخبيثة وسيأتي بيان ذلك .

[٩] شبهة ادعائهم المنهج العلمي أو الموضوعي وسيأتي الرد عليها.

[١٠] يوهمون القارئ بعبارات ظاهرها الصواب وحقيقتها الجهل والكذب والتخليط والخذلان، كقولهم في مقدمات عموم كتبهم أنهم يبحثون في سيرة الصحابة على أنهم بشر وأنهم مثلنا يخضعون «لقواعد البحث ومشارط التجريح والتعديل».

قلت: وهذا كلام ظاهر فساده وكذبه؛ لأنه لا ولن يستوي رجال قد شهد الله لهم بالإيمان والصلاح والإخلاص، بل ونصَّ على مغفرته لهم ورضاه عنهم ووعدهم الجنة، لن يستوي هؤلاء مع غيرهم كائنًا من كان.

[١١] ومن ذلك - أخيرًا ومراعاة للاختصار - أن يُدير أحدهم الحديث حول معنى النص عامة والحديث خاصة، أو ما ينسبون للأئمة، دون ذكر النص صراحة؛ حتَّى يسهل له التلاعب والتحريف دون رقيب أو حسيب وأمهرهم في هذه الحيلة محمد باقر الصدر في كتاب «أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف» وكذلك التيجاني السماوي وغيرهما.

ونكتفي بهذا القدر من مناهج الطاعنين في البحث وسوف تجد ذلك جليًا واضحًا عند الرد على شبهات القوم ومطاعنهم، حيث سأشير إلى ما يرد منه كلٌّ في موضعه بإذن الله تعالى.

الباب الأول

تعريف الصحابي وبيان ضوابط هذا التعريف

الصحابي: هو من أسلم وحسن إسلامه ورأى النبي ﷺ أو سمعه ومات على ذلك.

ويخرج بقولهم: «من أسلم» غير المسلمين كالمشركين ونحوهم، حتَّى وإن رأوا النبي ﷺ أو سمعوه، ومهما يكن من أمرهم مع المسلمين؛ لأننا نعلم أن بعض المشركين قد أحسنوا إلى المسلمين وخاصة في فترة الاستضعاف بدافع من الحمية والقبلية، كالثلاثة المشركين الذين تعاهدوا على نقض الصحيفة الجائرة أثناء حصار المسلمين في الشِّعب، وكالمشرك الذي أجار رسول الله ﷺ بعد عودته من الطائف، وكأبي طالب عم النبي ﷺ، فإنه رغم الكثير من مواقفه الشجاعة نصرة لابن أخيه، إلاَّ أنه لم يُسلم خلافًا لما يزعمه بعض الضالين المنحرفين.

وعلى هذا فالمشركون ليسوا من المسلمين فضلاً عن أن يكونوا من الصحابة، حتَّى وإن ناصر بعضهم المسلمين كما تقدَّم، ومع أنَّ هذا من الأمور البديهية، إلاَّ أن الدافع للتوكيد عليه ما قرأته في كتب بعض أكابر هؤلاء المنحرفين من اعتبارهم أبا طالب من الأوصياء!!.

ويخرج بقولهم «وحسن إسلامه» من أسلم ظاهرًا وبقي باطنه على الكفر، وهم المنافقون؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧]، ولقوله عزَّ وجل: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

ولقد كان المنافقون على عهد النبي ﷺ معروفون بأعيانه، بل إنه ﷺ أملى على حذيفة رضي الله عنه أسماءهم، كما أن المنافقين عمومًا معروفون في القرآن الكريم

بأوصافهم التي فضحهم بذكرها، وإنما أقول هذا لأن هؤلاء الضالين المنحرفين يزعمون أن في الصحابة منافقين، وليس المنافق مسلمًا حتَّى يكون صحابيًا، ولكن هؤلاء الذين فقدوا نورالإيمان وأبغضوا أهله يحتجون لضلالهم هذا بأن المنافق ظاهره الإسلام، ثم يتترسون بقولهم هذا؛ ليتوصلوا إلى أن كثيرًا من الصحابة منافقون، ومما يدلك على ضلالهم أمور، منها:

ما سبق في بيان حقيقة النفاق، وأن المنافقين كانوا معروفين على عهد النبي ﷺ بأسمائهم، ومنها أن هؤلاء الضالين المنحرفين قد صرحوا بكفر ونفاق نفر من كبار الصحابة المشهود لهم بالفضل والإيمان في القرآن الكريم، بل والمبشرين بالجنة بأسمائهم، بل لقد بلغ الأمر بهؤلاء المغضوب عليهم إلى أن كفَّروا جميع الصحابة إلاَّ ثلاثة أو خمسة أو سبعة على تعدد رواياتهم التي اشتمل عليها بعض سود صحائفهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥]

ولولا أنني وعدتك - أخي القارئ - أن يأتي هذا البحث عامًا دون تحديد جهة باسمها، أو أحد بعينه من هؤلاء الضالين المنحرفين، لذكرت لك نقولاً من كتبهم تشتمل على ما يتورد منه جبين الحياء خجلاً[1]، بل إنهم ليقولون ما يتورع عن ذكره بعض غير المسلمين، ليس فقط في الصحابة، بل في القرآن والسنة والنبي نفسه ﷺ، ولسوف أذكر لك في نهاية هذا المبحث أسماء بعض الكتب لعلماء من أهل الحق يمكنك من خلالها الوقوف على كثير من معتقدات هؤلاء المنحرفين مع تفنيد علمائنا - رحمهم الله - لها، ودمغها بالحق المبين.

ويخرج بقولهم: «ورأى النبي» من أسلم ولم يلقَ النبيّ ﷺ، فقد يكون مسلمًا حسن الإسلام غير أنه لم يلقَ النبيَّ ﷺ فلا يُعدُّ في الصحابة، وهذا يُبين بركة وجوده ﷺ بين الصحابة، والأثر التربوي العظيم الناشئ عن رؤيتهم وسماعهم ومجالستهم له ﷺ.

---

(١) غير أن ذلك سيأتي في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

ويدخل بقولهم : «أو سمعه» من أسلم ولقي النبي ﷺ، غير أنه لم يره لأنه كان أعمى (كعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه) فهو من الصحابة.

ويخرج بقولهم: «ومات على ذلك» المرتدون؛ لأن المرتد وإن أسلم وحسن إسلامه ابتداءً، ورأى النبي ﷺ أو سمعه، إلاَّ أنه أصبح بردته كافرً، فلا يطلق عليه لفظ مسلم فضلاً عن صحابي؛ لأن المفهوم من قولهم: «ومات على ذلك» أي على الصفات والشروط التي سلف ذكرها، ونسبته إلى الصحبة وجعلته في مصاف الصحابة رضي الله عنهم .

الباب الثاني

حول معنى الآية ﴿٢٩﴾ من سورة الفتح

يقول الله عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح: ٢٩].

يا لله ولهذه الآية العظيمة!! ، لو لم ينزل في شأن الصحابة غيرها، لكفت، ولكفتهم شرفًا، أن الله تعالى يشهد من فوق سبع سماوات لهذه العصبة المؤمنة بتلك الصفات في قرآن محكم يُتلى إلى يوم القيامة، على مسامع الدنيا وملء آذانها؛ ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليزداد الذين في قلوبهم مرض مرضًا على مرض؛ ذلك أن شأن المؤمنين أن يقولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وأن يُسلموا لأحكام الله تسليمًا، دون لف أو دوران، أو زيغ أو روغان، ويصدقوا بأخبار القرآن تصديقًا ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [النساء: ٨٧].

أما المنافقون فيأبون ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) ﴾ [النور: ٤٧ – ٥٠]؛ فالمنافق واحد من ثلاثة، وقد تجتمع فيه الثلاث كلها: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ ، إن واحدة من هذه تكفي لكفر صاحبها، فكيف بمن اجتمعت فيه، واستقرت في قلبه، نعوذ بالله من الكفر ومن النفاق.

وها نحن نرى فريقًا منهم يسمعون هذه الآية المحكمة الواضحة الجلية، وما بها من أخبار القرآن التي لا تحتمل غير الصدق، ولا يسع منكرها غير الكفر، ومع ذلك نرى فريقًا من الضالين المنحرفين ، فريقًا من المنافقين، ومن الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب..

ها نحن نسمعهم ونراهم يقولون في أصحاب محمد ﷺ قولاً عظيمًا، إنهم ليرمونهم بالكفر والنفاق، وبالتواطؤ على الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وبأنهم خانوا الله والرسول ﷺ، فحرفوا كلام الله تعالى ووضعوا أحاديث مكذوبة على رسوله ﷺ، وبأنهم... وبأنهم... مما اسودَّت به صحائف كتب هؤلاء الضالين المنحرفين مما يدل على تكذيبهم لصريح القرآن وصحيح السنة في مدح الصحابة رضي الله عنهم.

ومع ذلك فإن هؤلاء الضالين المنحرفين يزعمون أنهم مسلمون!! بل يرون أنفسهم أولى بهذا الدين في العالمين، ولو كانت الأمور بالأماني لكان إبليس اللعين خير خلق الله أجمعين، ولكن هي كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣].

والآن فلنعشْ سويًا في ظلال هذه الآية الكريمة؛ لبيان ما اشتملت عليه من صفات وفضائل ومناقب خير أمة أُخرجت للناس، خير من وطئ الحصى بعد الأنبياء، ذلك الجيل الرباني المتميز الذي صنعه رسوله محمد ﷺ، ولئن كان المبطلون محتطبو الليل يحتجون لمزاعمهم الباطلة بأحداث تاريخية أكثرها موضوع ومكذوب، وما صحَّ منه فقد ترجموه ترجمة تخالف أصله؛ حيث بالغوا فيه وأحاطوه بالتهاويل جاعلين بيضتهم جملاً، وقبَّة غيرهم حبة!! – لئن كانوا كذلك – فنحن سندمغ باطلهم بالحق المبين من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾**﴾ [الأنبياء: ١٨] ذلك أن لدينا كلام ربنا سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولدينا كلام نبينا محمد ﷺ أصدق الناس لهجة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣، ٤] .

إن لدينا كقول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ فإذا أوردنا بعد ذلك شيئًا من الأحداث التاريخية والسير والتراجم ، فإنما ذلك للاستئناس لا للاستشهاد، ناهيك عن كون ما يذكره علماؤنا صدقًا لا كذب فيه متعمدًا ولا مبالغة، وقد يوجد في كتبنا أخبار ضعيفة أو حتَّى موضوعة، غير أنَّ العلماء توفروا عليها وحققوها، فنقدوا صحيحها من ضعيفها وموضوعها، وهو ما لم يفعله غير علمائنا – أهل الحق – رحمهم الله تعالى .

فإذا رجعنا إلى قول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ وجدنا الأمانة العلمية تستدعينا النظر في الآية التي قبلها؛ لأن أهل الحق، وأولي العلم الصحيح يعلمون أن السياق القرآني ضرورة في فهم النصوص واستنباط الأحكام الشرعية منها، يدل على ذلك اهتمامه ﷺ بترتيب الآيات والسور القرآنية، وإلاَّ فلمَ يأمر كتبة الوحي رضي الله عنهم أن يضعوا آية كذا بين آية كذا وآية كذا من سورة البقرة مثلاً، وأن يضعوا سورة كذا بعد سورة كذا، وهو الذي ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ٣ – ٥] بل إن ابن عباس رضي الله عنهما يُقرر ذلك ويؤكده.

ولذلك فليس مصادفة أن تكون الآية التي قبل هذه الآية مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨ ﴾ [الفتح: ٢٨] تقريرًا وتوكيدًا لكافة المعاني التي جاءت بها آية ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ بل إنَّ الآيتين اللتين بعدها – من أوائل الحجرات– لتمضيان في تعميق المعاني نفسها؛ لزيادة تقريرها وتوكيدها في نفس القارئ إن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ولبيان ما سبق أقول – مستعينًا بالله تعالى ـ :

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ﴾ يذكر الله تعالى حقيقة ثابتة مؤكدة تلك، أنه سبحانه الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ولما كان محمد ﷺ وهو خاتم المرسلين، وكان الدين الذي أُرسل به هو الدين الخاتم المهيمن على كل ما سبقه، فقد قضى الله عز وجل أنه ما أرسل رسوله ﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ إلاَّ ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وهذا الظهور سيكون فيما يكون بجهاد مضنٍ وجهود عظيمة متواصلة يقوم بها رجال مع رسوله وحول رسوله وبعد رسوله ﷺ (١) ؛ ولذلك فقد جاء بعدها مباشرة ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ولئن قال الله عز وجل في موضع آخر ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) ﴾ [الصف: ٩] فقد قال سبحانه هنا: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ كفى بالله شهيدا على كل شيء... كفى بالله شهيداً، أن الإسلام هو الهدى ودين الحق، وكفى بالله شهيداً أن محمداً رسول الله، وكفى بالله شهيداً أن الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...

سياق قرآني معجز بديع، فلا تعجب إذا حاول المنافقون إنكاره، ونفي أهميته!!.

﴿ أ ﴾ ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ إخبار من الله تعالى بحقيقة لا يُمكن لمسلم على وجه الأرض أن يجهلها فضلاً عن أن يُنكرها، بل إن من تُحدثه نفسه بمجرد التردد فيها فضلاً عن إنكارها فهو كافر مرتد؛ لذا فقد جاء الخطاب فيها بخبر ابتدائي؛ نظراً لأن السامع ليس متردداً ولا شاكًا .

و ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ هو خبر القرآن الصادق، بل الذي لا يحتمل إلاَّ الصدق؛ ولذلك فقد عطف عليه خبر آخر :

﴿ ب ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ والعطف بالواو يعني – كما هو

(١) ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢] .

معلوم – أن للمعطوف حكم المعطوف عليه.. أي كما قد ثبت أن محمداً رسول الله ووجب التصديق بذلك، فكذلك يجب التصديق بأن الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، ولمَ لا يكون الأمر كذلك وكلاهما خبر القرآن؟! ومن هنا يبدو بوضوح وجلاء أن للخبر الثاني نفس حكم وأهمية الخبر الأول، فكما آمنت بقوله تعالى ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ** ﴾ وجب عليك الإيمان بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ وإلاَّ فأنت ممن يقول الله عز وجل فيهم: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [البقرة: ٨٥].

﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ ترى من يكون الذين معه؟ أوَليسوا صحابته ﷺ أم سيقول الضالون المنحرفون هنا كما قالوا في قوله عز وجل: ﴿ **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠] قال هؤلاء الضالون المنحرفون: قد يكون الصاحب كافراً !!! مُلمحين بكفر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لا شكَّ – عند أهل الحق – أن الذين معه هم الصحابة ﷺ بعمومهم دون أن تستثني الآية منهم أحداً، وكأني ببعض من في قلوبهم مرض وقد تأملوا هذه الآية وتدبروها يقولون: ﴿ **كَلاَّ لا وَزَرَ** ﴿١١﴾ ﴾ [القيامة: ١١].

﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ مبتدأ مخبر عنه، ثم تأتي الأخبار تترى متوالية، وساماً على صدور الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وسهاماً في قلوب مُبغضيهم إلى يوم الدين فهم – أي الصحابة ﷺ – وبنص القرآن الكريم: ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ** ﴾ ولقد نقلت لنا السيرة أخباراً لولا صحتها وثبوتها بتأكيد القرآن لها لحسبناها أساطير، ولكن هؤلاء الرجال جعلوا الأسطورة واقعاً، والخيال حقيقة!! فهذا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقتل أباه يوم بدر، والصديق رضي الله عنه يهم بقتل ابنه عبد الرحمن، ومصعب بن عمير رضي الله عنه يقتل أخاه عبيد بن عمير، وعمر يقتل قريباً له، وهؤلاء حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ﷺ يقتلون عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، كان ذلك يوم بدر، وأقاربهم يومئذ على الشرك.

فاستحق الصحابة ﷺ أن ينزل في شأنهم قرآن يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (٢٢) ﴾ [المجادلة: ٢٢] ولنا مع هذه الآية وقفة قريبًا إن شاء الله.

واستحقوا – أيضًا – تشريف النبي ﷺ لهم «**لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

(**جـ**) ﴿ **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ فعن أنس ﷺ قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم، أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتَّى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «**لا ، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم**».

وقد تصدَّق الصديق بجميع ماله ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله. وهنا يحضرني قول أحد المنحرفين: إن أبا بكر لم يُنفق شيئًا من ماله قبل الهجرة؛ لأنه لم يكن هناك ما ينفق من أجله، وهذا الضال يقصد – بعقله المثقوب – أن مرحلة الاستضعاف لا تقتضي النفقة وليس فيها ما يستوجب الإنفاق، والحق أن النفقة أعظم ما تكون أجرًا في مرحلة الاستضعاف؛ لأن الحاجة لها تكون أشد، وهذا عكرمة وأصحابه ﷺ وقد عرض عليهم الماء يوم اليرموك، وكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتَّى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ﷺ.

وما قصة أبي طلحة وزوجته ﷺ مع ضيفيهما ببعيد، وهي ثابتة في الصحيحين، وإن أردنا أن نتقصَّى أخبارهم في باب «أشداء على الكفار، رحماء

بينهم» لما وسعنا المقام، فليرجع من أراد الوقوف على المزيد إلى كتب السيرة المحققة.

ولعلَّ سائلاً يسأل: أيكون الصحابة ﷺ رحماء بينهم رغم ما وقع بينهم من الفتن والحروب؟

والجواب: نعم ولا شك؛ فهم رغم ذلك كله رحماء بينهم!!؛ وذلك لأسباب على رأسها – وفيه كفاية للمؤمنين – : أنَّ هذا هو خبر القرآن الكريم، ومن أصدق من الله حديثًا، وأنه سبحانه أنزل هذا في قرآنه وأخبر به وهو يعلم بما سيكون إلى يوم القيامة، أنزله وأخبر به وهو يعلم بما سيقع بينهم من قتال وحروب، فلا تعارض، بل ويستحيل التعارض.

وثانيهما: أن الصحابة ﷺ تقاتلوا في سبيل ما كان كل فريق يعتقده حقًا لا يجوز له التهاون فيه أو يهلك دونه، وإنما يكون ذلك في الأمور الاجتهادية التي لا نصَّ فيها، وللمخطئ منهم أجر، وللمصيب أجران.. ولا يستطيع أحد كائنًا من كان طالما يلتزم الصدق والإنصاف أن يُثبت بدليل واحد أو خبر معتد صحيح أنَّ الصحابة ﷺ تقاتلوا عن ضغائن وأحقاد فضلاً عن أن يكون عن تكفير بعضهم لبعض أو حتَّى تفسيق بعضهم لبعض، وإن كنت أميل للرأي القائل: «هذه فتنة عصم الله منها سيوفنا، فلمَ لا نعصم منها ألسنتنا؟» إلاَّ أنني – ونظرًا لخوض هؤلاء الضالين المنحرفين – في هذا الأمر، يلبسون على الناس الحقَّ بالباطل، وبقصد بيان الحق، ولتكون جوابًا لجاهل أو متجاهل، أودُّ أو أوضّح بعض الأمور وهي:

[١] لا يُرد خبر القرآن المحكم القطعي بقصص نسج حولها المغرضون من الأكاذيب والمغالطات ما نسجوا، حتَّى اختلف ما له أصل منها عن أصله اختلافًا بينًا، ناهيك عن كونهم يحكونها على طريقة «فويل للمصلين».

[٢] ثبت أن عليًا ﷺ كان يمنع أصحابه من سب أو لعن أحد من الفريق الآخر، وخاصة أم المؤمنين عائشة ﷺ.

[٣] ثبت أن الفريقين، كانا إذا جاء الليل ووضعت الحرب أوزارها تزاورا وتسامرا في معسكريهما .

[٤] ثبت أن كلاً من الفريقين كان يصلي على قتلى الفريق الآخر.

[٥] ثبت أنَّ بعض أصحاب معاوية رضي الله عنه انصرفوا عن جيشه حين قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وذكروا بحديث النبي ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**» .

[٦] ثبت أن الذين ناظرهم علي رضي الله عنه قبيل القتال أو أثناءه قد رجعوا عن القتال تاركين جيش معاوية رضي الله عنه ؛ حيث ذكَّرهم علي رضي الله عنه بأحاديث النبي ﷺ .

[٧] ثبت أن عدد الصحابة المشاركين في الفتنة كان قليلاً جداً، وهو أقل بكثير مما تصوره بعض الكتب . .

كل ذلك وغيره كثير يدل دلالة واضحة على أن كلاً من الفريقين كان يُقاتل دون الحق الذي يعتقده حسبما أداه إليه اجتهاده . . طالما كان أهلاً للاجتهاد، مُخلصًا في تحريه، والصحابة لا شكَّ أهل للاجتهاد، ومخلصون بنص القرآن – كما سيأتي إن شاء الله – ومعلوم أن للمجتهد أجراً إن أخطأ، وأجرين إن أصاب.

كما لا ينبغي أن يفوتنا أن المنافقين مُشعلي الفتنة من أتباع – ابن السوداء – عبد الله بن سبأ كانوا مندسين في الفريقين يغذون ويُجهضون كل محاولة للإصلاح بمسارعتهم لإشعال القتال؛ حيث كانوا يتناوشون فيما بينهم فتشتعل الحرب، بينما يصعب في معمعة الحرب وقعقعة السلاح أن تُحدد مسئولاً عن الحرب أو تحاسبه [١] .

فالصحابة إذن وبدون شك – وكما نصَّ القرآن الكريم – رحماء بينهم، وأما المنافقون الذين يبغضونهم، فيكفيهم قول الله تعالى: ﴿ **مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ** ﴾ .

[آل عمران: ١١٩]

---

(١) ومن أراد المزيد حول هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى المجموعة الصوتية «قصص من التاريخ» للدكتور / طارق السويدان، وتقع في ثمانية أشرطة، وقد حققها وبذل فيها جهداً مشكورا، وكذلك كتاب «العواصم» لابن العربي، و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«اعتقاد أهل السنة» للإمام / هبة الله بن منصور اللالكائي ، وكتاب «طرد وساوس الشيطان» للعلامة السهسواني.

﴿ د ﴾ ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ شهادة من رب العالمين لهم بأنهم محافظون على الصلاة وهي أفضل العبادات وأقرب القربات؛ فلزم من ذلك أنهم قائمون بسائر العبادات وأقرب القربات، فلزم من ذلك أنهم قائمون بسائر العبادات محافظون عليها، بل إن الله تعالى قال: ﴿ تَرَاهُمْ ﴾ بالمضارع؛ وذلك دلالة على استمراريتهم ومداومتهم على الصلاة في كل حين، وعلى كل حال، كأن لا عمل لهم غيرها، والحقيقة أنهم كانوا يعملون كل شيء من صلاة وجهاد وحج وزواج.. إلخ، ولكن لشدَّة محافظتهم على الصلاة وُصفوا بها وكأنها شأنهم الوحيد، فأكرم بها من عمل، وأكرم بهم من رجال.

﴿ هـ ﴾ ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ماذا يمكن أن تكون هذه الصفة؟ أهي شيء غير الإخلاص؟ فإن كانت الإخلاص - وهي كذلك ولا شيء غير ذلك- فمن ذا الذي يستطيع لما أثبت الله محواً؟ أو لما أخبر نفيًا؟ وهل يكون ذلك البائس اليائس إلاَّ:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل!

من ذا الذي تُحاز له الدنيا بحذافيرها ثم لا يبذلها ثمنًا رخيصًا لهذه الصفة، إن الله يشهد بالإخلاص لـ ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ فماذا بعد هذا؟!

أخي المسلم، أنا أصلي وأنت تصلي، وكل مسلم يصلي، والكثير من المسلمين يفعلون ألوانًا من الخير والبر، ولا شك أننا جميعًا نرجو أن تكون أعمالنا مقبولة خالصة، ولكن هل يستطيع أحد أن يجزم لنفسه أن عمله مقبول وخالص لوجه الله تعالى؟ قطعًا لا؛ لأن الإخلاص من أعمال القلوب التي لا يعلمها غير الله عز وجل.

وها هو النَّص القرآني الصريح ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ يشهد للصحابة بالإخلاص وطلب الجنَّة والحرص عليها ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] فهم إذن مخلصون في أقوالهم وأفعالهم

واجتهاداتهم، أصابوا أم أخطأوا، وليس هذا غريبًا على قوم كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه.

﴿ و ﴾ ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ إنه نور الإيمان حين يفيض من القلوب المؤمنة فتزهو به الجباه الساجدة، والوجوه المتوضئة.. إنه نور الإيمان الذي تفيض به بواطنهم الصادقة المخلصة - بنص القرآن الكريم - على ظواهرهم الطاهرة الطيبة.. ذلك النور الذي يشع على وجوههم فيكسبهم التوقير في أعين المؤمنين، وينعكس هيبة وخوفًا منهم في قلوب الكافرين، وقد حدثتنا كتب السيرة أن الكفار كانوا يفرون في كثير من المواقع لمجرد رؤية الصحابة ﷺ، بل إنَّ اسمًا كخالد أو عمرو كان كفيلاً أن يذيب قلب أعتى الكافرين وأشدهم مراسًا وفروسية !!.

بل إن الإمام مالك بن أنس كان يقول: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة ﷺ الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك».

وقال ابن كثير - رحمه الله -: «فالصحابة ﷺ خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم...».

وقال بعض السلف: «إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس».

وقد كان الصحابة ﷺ كذلك وزيادة؛ فلله درّهم !!

﴿ ز ﴾ ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ فهم إذن بجميل صفاتهم السابقة، مذكورون في التوراة، وإلاَّ فعلى من يعود الضمير «هم» في قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾؟! أليس الضمير عائداً على الصحابة ﷺ وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ؟! هم إذن الذين اختارهم الله عز وجل بقدره وفي سابق علمه، وبأعيانهم دون غيرهم لصحبة نبيه ﷺ؛ لأن الله علم أنهم سيكونون أهلاً لنصرة الله

ورسوله ودينه؛ فشرفهم بذلك، وليس اختيار الله عز وجل لرسوله ﷺ من هذه الأمة ولا من هذا الجيل بعينه عبثًا، بل ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، والله عز وجل لا يخلق شيئًا إلاَّ بقدر معلوم، ولأجل معلوم، فهو سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [طه: ٥٠] وإن يكن هذا فوق تصور المنافقين إلاَّ أنه حقيقة قرآنية لا تحتمل إلاَّ أحد أمرين: أن يتوبوا إلى الله عز وجل من كفرهم بتكفير من نصَّ القرآن على إيمانهم وإحسانهم، ناهيك عن إسلامهم، أو أن يكفروا بالنصوص القرآنية في فضلهم.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ أثنى الله عز وجل عليهم في التوراة – أي قبل أن يخلقهم بمئات السنين – فمجدهم وشرفهم طارف وتليد؛ ولذلك فهم فوق كل محاولات التشويه، وأرسخ من كل ما يحاول الشانئون المبغضون .. وليس ذلك فقط بل:

﴿ح﴾ ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ فهم أيضًا مذكورون بصفاتهم اللاحقة في الإنجيل، وبذكرهم في التوراة والإنجيل تكمل لهم ﷺ حلقة الشرف والسؤدد والمجد، فلا تبقى ثغرة لمنافق ضال منحرف، فكل أمم الأرض السابقة – تقريبًا – قد شرفت بذكرهم وبمعرفة أوصافهم إن لم تشرف برؤية أعيانهم، ولا أحسب أن من له أدنى معرفة بالسيرة يجهل قولة أسقف القدس وكبير مطارنتهم عندما تقدَّم المسلمون يقودهم الصحابة لفتح بيت المقدس، فأبى ذلك الأسقف أن يُسلم المفاتيح إلاَّ لمن يجد أوصافه في كتبهم بعينه، ووردت أوصافه في كتبهم، فمن هو؟ بل من يكون غير عمر؟! نعم .. عمر، وما أدراك ما عمر؟! مُطفئ نار الفرس ومنكس صليب الروم!.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ إنها

مراحل تصور حالة الشطء مع الزرع الذي أخرج ﴿ شَطْأَهُ ﴾ – فراخه – ﴿ فآزره ﴾ شده ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ شبَّ وطال ، فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيّدوه ونصروه ويُمكن القول إن هذه الآية تبين المراحل التربوية التي مرَّ بها الصحابة رضي الله عنهم على يد المربي الأول والأعظم رسول الله ﷺ، وإلى قريب من ذلك ذهب الأستاذ الشهيد سيد قطب – رحمه الله – حين قال عن الصحابة رضي الله عنهم : « فهم زرع الله ورسوله ﷺ » وعلى ذلك يكون الضمير « هم » في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ ﴾ عائداً على الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ويكون قوله تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ ﴾ مجازاً للتعبير عن دوره ﷺ في تعهد الصحابة رضي الله عنهم بالتربية والرعاية كما يتعهّد الزرع شطاه، أي صغاره، فآزره حتَّى اشتدَّ واستغلظ أي صار قويًا واستوى على سوقه، أي صلب عوده وقوي؛ فصار مُبهجًا يسر الناظرين.

فمجمل المعنى – والله أعلم – أن النبي ﷺ تعهَّد الصحابة رضي الله عنهم بالتربية على العقيدة وبتعليمهم دينهم حتَّى استقرَّ الإيمان في قلوبهم، ورسخ رسوخ الجبال الرواسي، فاستوى زرع رسول الله ﷺ على سوقه، وعندئذ انقسم الناس منه إلى فريقين:

﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ فالمؤمنون الذين يقدرون الإيمان ويعرفون فضائل المؤمنين معجبون بالصحابة رضي الله عنهم فخورون بهم، تمامًا كما يعجب الخبير بالزرع بمنظر الزرع حين يستوي على سوقه ويَحسن شكله ويؤتي أكله.

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ أما الكفار، فيغتاظون من الصحابة رضي الله عنهم فينفسون عن كفرهم وحقدهم في الطعن عليهم ومحاولة تشويههم، فهيهات هيهات.

فتوى :

قال ابن كثير : « ومن هذه الآية ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ انتزع مالك – رحمه الله – بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال– أي الإمام مالك – : لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه

طائفة من العلماء على ذلك» [مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٣) (ص٣٥٥) للصابوني].

قلت: ولا أعتقد أن هذا مما يختلف عليه؛ إذ النص واضح وصريح، وإلى ذلك ذهب الإمام أبو زرعة الرازي - رحمه الله - وابن كثير ذهب إلى قريب من ذلك - رحمه الله - .

فلله در قوم، أثنى الله تعالى عليهم في الأولين والآخرين، ومع ذلك لم يسلموا من ألسنة الحاقدين المنحرفين، لكن لا عجب،فلم يسلم منهم حتَّى رسول الله ﷺ، فقد آذوه في نفسه وعرضه ودعوته - بأبي هو وأمي - .

تنبيه:

ليس صحيحًا ولا مقبولاً ما ذهب إليه الجاحظ من أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿الْكُفَّارَ﴾ أي المزارعون؛ لأن الجاحظ وإن كان من بلغاء العرب، إلاَّ أنه كان معتزليًا، لا يستقيم لعقيدته كثير من الآيات مما جعله يلجأ لتأويلها بما يوافق عقيدته، سواء في هذه الآية أو عموم آيات الأسماء والصفات.

﴿ط﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهنا نصل إلى مسلك الختام، ومع هذا الفضل العظيم، من الله تعالى إلى خير من وطئ الحصى بعد خير الأنام عليهم الصلاة والسلام، وعد من الله تعالى إلى الصحابة ﷺ بالمغفرة ولا يخلف الله وعده، فهذا نص صريح بأنه عز وجل قد غفر لهم، وعفا عنهم، فهل بعد هذا الفضل من فضل؟! وهل يـ ـور لأحد أن ينبس ببنت شفة في حق هؤلاء الرجال الذين قد غفر الله لهم، ليس فقط، بل وزادهم من فضله ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة.

وهذه الآية إشارة واضحة إلى أن الصحابة ﷺ غير معصومين، بل هم يُخطئون ويُذنبون ثم يتوبون فيتوب الله عليهم، بل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وهنا نود الإشارة إلى أن الضالين المنحرفين في كتبهم ومحاضراتهم يقفون عند بعض أخطاء للصحابة ﷺ ، سواء تلك التي تقع في أمور اجتهادية أو عن ضعف النفس وكل نفس يعتريها ضعف ووهن «**وكل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون**» .

غير أن هؤلاء المنحرفين يقفون عند هذه الأخطاء مهولين لشأنها، ثم يبنون على ذلك أحكامًا واضحة البطلان، بيّنة الضلال، إذْ يكفرون الصحابة ويفسقونهم، ناهيك عن سبهم ولعنهم فهو من لوازم دين هؤلاء المنحرفين، الذين هم في أحسن أحوالهم يكفرون بقول الله عز وجل ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ .

كل ذلك لأنهم يزعمون أن «من» في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ يزعمون أن «من» هنا للتبعيض، متخذين من فهمهم ذلك ذريعة للخوض في أعراض الصحابة مكفرين ومفسقين على حسب ما تملي عليهم أهواؤهم وأحقادهم.

وابتداءً يجب التأكيد على أن «من» هنا لبيان الجنس؛ لأن ما بعدها من جنس ما قبلها، ما بعدها الضمير «هم» من جنس ما قبلها الاسم الموصول ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ وذلك كقولك «أحب الجمعة من الأيام، وأُحب الثريد من الطعام» ولمزيد من الإيضاح إليك هذا المثال: «أخذت من الدراهم» من هنا للتبعيض، وأما «أخذت درهمًا من الدراهم» فمن هنا لبيان الجنس.

ثم إذا افترضنا جدلاً – أقول جدلاً – أن «من» في الآية ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ للتبعيض ؟ فمن هم ذلك البعض الذي تشمله المغفرة والأجر العظيم، الذين أخطأوا أم الذين لا يخطئون إن وجدوا [١] ؟

---

(١) فإن قالوا الذين أخطأوا فقد كفينا القتال، وإن قالوا الذين لا يخطئون فقد كفينا الجدال.

ثم إن الآية صريحة في وصفهم بالإيمان والعمل الصالح رغم أنهم يخطئون، فهل يرعوي الجاهلون الذين يسبون الصحابة ﷺ ويلعنونهم ويكفرونهم بحجة أن لهم أخطاء!! ثم هل يُبيح لهم فهمهم هذا - على ضلاله وسقمه - أن يخوضوا في أعراض الصحابة ودينهم على هذا النحو المزري الذي يأباه بعض غير المسلمين؟! ولكن الحقيقة أن هؤلاء الضالين المنحرفين، يتَّخذون الصحابة غرضًا، يصبون عليهم جام حقدهم ونيران حسدهم لأسباب سياسية وميول يهودية معروفة عند المنشئ الأول - عبد الله بن سبأ - اليهودي الذي ادَّعى الإسلام؛ ليسهل عليه الهدم من الداخل - لا سمح الله ولا كان ذلك - ومعروفة أيضًا عند أتباعه المتأخرين ، ولئلا نلقي الكلام جزافًا ندلل على ذلك بأن هؤلاء الضالين المنحرفين:

[١] يكفِّرون جميع الصحابة ويفسقونهم ويلعنونهم، ما عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة، وإنَّما جاء الاختلاف في العدد من تعدد رواياتهم هم!! أكل هذا تصنعه «من» التي هي - بزعمهم - للتبعيض؟! أم أن الأمر كما قلت آنفًا قبل عدة أسطر؟! (١) .

[٢] أن عقائدهم الفاسدة لم تقتصر على موقفهم المشين من الصحابة ﷺ بل قد تجاوزوا إلى القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة، والتجرؤ على النبي ﷺ، بل على الله تعالى أحيانًا كما سيأتي بيان ذلك، كلٌّ في مبحثه المخصص له إن شاء الله.

وعلى الفهم الصحيح - فَهْم أهل الحق - يكون معنى الآية بوضوح : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ من جنس هؤلاء الصحابة الذين تقدمت أوصافهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وهو الجنة، فكأن الآية الكريمة تحثنا من بعدهم أن نقتفي أثرهم؛ لننال ما نالوا من المغفرة والأجر العظيم.. وأما زلاتهم وأخطاؤهم فقد غفرها الله لهم وعفا عنهم، بل إن رسول الله ﷺ عاش بينهم هاديًا ومعلمًا،

---

(١) ثم ألا ينبغي فهم هذه الآية على ضوء سائر الآيات التي وردت في مناقب الصحابة ؟! .

فما حكم عليهم بشيء مما يزعمه هؤلاء الضالون المنحرفون، أفلا يسعنا حكم الله، وحكم رسول الله ﷺ ؟!.

بلى، فرضي الله عنهم، ورزقنا حبهم فـ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١] ورزقنا ما رزقهم من المغفرة والأجر العظيم ، وجازى مبغضيهم بما هم أهله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

[٣] نعود إلى ما بدأنا به من أهمية السياق القرآني [١] فنلقي نظرة سريعة على الآية أو الآيتين التاليتين لهذه الآية الكريمة ، وهما قول الله تعالى في أول سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ② ﴾

[الحجرات: ١، ٢]

يأتي هذا التأديب القرآني للمؤمنين ألاَّ يسرعوا في الأشياء بين يدي رسول الله ﷺ – أي قبله – بل يجب أن يكونوا تبعًا له في جميع الأمور وألا يقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينهم، وألاَّ يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ أي بين يديه، وكذا بعد موته ﷺ بألاَّ نقدم رأيًا على رأيه ولا حكمًا على حكمه ﷺ ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ⑥⑤ ﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ③⑥ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ثم جعل الله عز وجل عاقبة من يُخالف هذه الآداب أن يُحبط عمله من حيث لا يدري؛ لأنه ربما حسب الأمر هينًا وهو عند الله عظيم.

---

(١) ومن أراد المزيد في هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى « ظلال القرآن » للأستاذ/ سيد قطب –رحمه الله–.

ولا شك أن هذه الآداب عامة - كما ترى - ولكن ورودها بعد قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ يلزمنا ويلزم كل مؤمن بأن يتأدب الأدب نفسه وهو يتلقى أحكام الله عز وجل وشهادته وأخباره سبحانه عن النبي ﷺ، وعن صحبه الأخيار رضي الله عنهم فكلهم من الأبرار، وإلاَّ فـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٧] أي سميع لأقوالنا عليم بنياتنا .

فنسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في كل أقوالنا وأعمالنا؛ إنه على كل شيء قدير، وأن يجعلنا ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

الباب الثالث

التقديم :

لا يختلف العقلاء في أن لكل أمة رموزها وثوابتها، كما لا يختلفون في أن الأمم إنما ترقى بربط ماضيها بحاضرها، استشرافًا لمستقبلها، وإنها بمحافظتها على ثوابتها من العقائد، وعلى رموزها من العظماء تقيم حلقة الوصل بين ماضيها وحاضرها، بل وتحافظ على هويتها من الاندثار وعلى قوتها من الانهيار.

وقد سبق الكلام في مقدمة الباب الأول من هذا الجزء عن ذلك بالتفصيل، ثم تناولت آية واحدة من كتاب الله تعالى تعالى تناولتْ بيان صفات أعظم قادة هذه الأمة بل أعظم قادة عرفهم التاريخ بعد رسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم الصحابة ﷺ مبينًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩] من فضائل ومناقب هؤلاء الصحابة العظماء، وما يجب على المسلم من الإيمان والتسليم بأخبار القرآن الكريم ومنها ما ورد في هذه الآية المحكمة وغيرها من الآيات التي تنص صراحة وبوضوح على فضل الصحابة ومكانتهم السامية .

ثم أشرت إلى ما يحاوله بعض الضالين المنحرفين من طعن وتشويه لهؤلاء الرجال الذين أثنى الله عليهم في قرآن يُتلى إلى يوم الدين، وبينت أن كلامهم هذا محض كذب وافتراء وضلال مبين؛ لأنه ابتداءً تكذيب وإنكار لكلام الله رب العالمين، ولن تجد مسلمًا عنده مسكة من عقل أو ذرة من إيمان يرد كلام الله عز وجل لكلامه هو أو هواه ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ [الجاثية: ٢٣] .

ثم إن هؤلاء الضالين المنحرفين قد تعلقوا بكلمة من هذه الآية الكريمة

فحرفوها عن موضعها لتتفق وأهواءهم المريضة؛ حيث زعموا أن «مِنْ» في قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ زعموا أنها للتبعيض، ثم بنوا على هذا الزعم الخاطئ المغرض باطلاً كثيراً وضلالاً مبيناً إذ اتخذوه مطية لتكفير وتفسيق الصحابة ﷺ مخرجين بـ«من» التي هي بزعمهم للتبعيض كل الصحابة من الإسلام عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة!! وهذا من طرائقهم في التضليل؛ حيث يُحرفون معاني الآيات تحريفًا عجيبًا يخرجها عن معانيها إلى معانٍ أخرى تأباها عقول الصبية - ناهيك عن العقلاء - [1].

وكنت قد أوضحت في موضعه من الجزء الأول، أنَّ «مِن» في الآية لبيان الجنس قولاً واحداً، بل وبيَّنت أنها إن سلمنا جدلاً - جدلاً فقط - أنها للتبعيض، فإنها لا تؤدي المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء الضالون المنحرفون؛ لأسباب ذكرتها هناك، وأُضيف هنا سببًا آخر، وهو أن القرآن الكريم الذي يستحيل أن يعارض بعضه بعضًا قد وردت فيه عشرات الآيات في فضل جميع الصحابة بعامة، ناهيك عن مثلها في فضل صحابة معينين، فهل يُمكن نقلاً أو عقلاً، شرعًا أو طبعًا، أن تكون هذه الآيات كلها في فضل ثلاثة أو خمسة أو سبعة فقط من الصحابة؟! وهل هذا من الحكمة أو البلاغة في شيء؟! وكلام ربنا هو لا شك مجيد حكيم، وهو من البلاغة والفصاحة إلى حد الإعجاز، مما يجعل مزاعم هؤلاء سرابًا.

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يُثني على سبعة - على أكثر ما زعموا - لذكرهم بأسمائهم وقُضي الأمر! ولما احتاج الأمر هذا العموم والتكرار، ولكن المقام عموم وشمول للصحابة بعامتهم ولذا فقد كثرت النصوص العامة وتنوعت الأساليب

---

(١) وانظر إن شئت المزيد حول هذا الموضوع موسوعة الدكتور / علي أحمد السالوس فهي قيمة جدا، ولا ينبغي أن تخلو منها مكتبتك.

وتنوعت الفضائل بما يلائم مقامهم السامي ﷺ أما أنتم أيها الضالون المنحرفون فأين تذهبون؟! .

ثم إن العلماء يُقررون أن الأدلة ظنية الدلالة، تصير بكثرتها في المسألة الواحدة قطعية وكأنها صارت (قطعية لغيرها) حيث آزر بعضها بعضًا، بل إنها تأخذ حكم التواتر المعنوي [١] فكيف يكون الحال إذا علمنا أن الأدلة في فضل الصحابة ﷺ على كثرتها قطعية محكمة؟

وفي هذا الباب سنتناول - إن شاء الله تعالى - أحد عشرة آية من النصوص القرآنية العامة في فضل عموم الصحابة ﷺ [٢] حيث جاءت صريحة لا تحتمل تأويلاً - كما سنرى - .

وأما الآيات التي نزلت في صحابة معينين، فقد تركتها، رغبة في الإيجاز وخروجًا من الخلاف حول من نزلت فيه هذه الآية أو تلك، فكلهم للفضل أهل.

(١) راجع «الموافقات» للإمام الشاطبي المقدمة وغيرها .

(٢) والتي لا يختلف اثنان على أنها نزلت في عموم الصحابة ﷺ .

بعض الآيات التي وردت في بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم

[١] يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾ .

[الأنفال: ٧٢ – ٧٥].

مَن المقصود بهذه الآية الكريمة؟ هل أحد غير المهاجرين والأنصار؟ وكم كان عددهم؟ أكانوا ثلاثة ؟ أم خمسة؟ أم سبعة؟ أم يجب الإذعان للحق، والتسليم بأنهم عموم المهاجرين والأنصار، وكلهم من الصحابة رضي الله عنهم وماذا يقول أصحاب «التبعيض» في آية سورة الفتح؟ بل حتى وإن كانت «مِنْ» هناك للتبعيض، أفلا ينبغي أن تفهم في ضوء سائر الآيات، كهذه الآية وغيرها فهمًا شرعيًا بعيدًا عن الأهواء؛ حيث تنص الآية صراحة على:

[١] أن الصحابة من المهاجرين والأنصار هم الموصوفون في هذه الآيات بالإيمان.

[٢] أن المؤمنين – وعلى رأسهم المهاجرون والأنصار– بعضهم أولياء بعض، ولهذا فقد ذكر الله بعد ذلك مباشرة أن الكافرين بعضهم أولياء بعض ، ثم نصَّ سبحانه على أن عدم التمييز في الولاء بين المؤمنين والكافرين فتنة في الأرض وفساد كبير.

[٣] التأكيد على أن المهاجرين والأنصار - الصحابة - هم بنص القرآن ﴿ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ وهم جميع المهاجرين والأنصار، وليس مجرد سبعة كما يزعم الضالون المنحرفون .

[٤] أن هؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار - بل ومن غيرهم - كما مرَّ معنا في آية ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم؛ فهم يُذنبون ويتوبون، ويغفر الله لهم، بل لقد وعدهم الله مغفرة وأجرًا عظيمًا، وإنما يتوهم البعض أن الصحابة إما أن يكونوا معصومين، أو كفارًا منافقين، وهو نوع من التكفير بالمعصية نجده جليًا عندهم حين يتحدَّثون عن الصحابة خاصة، وإنك لتلمس هذا الفهم في كتاباتهم بوضوح شديد، متجاهلين النصوص القرآنية الصريحة في بيان فضل الصحابة ﷺ ، وفي المغفرة التي أنعم الله بها عليهم كقوله تعالى: ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ليس فقط ﴿ وَرِزْقٌ ﴾ بل ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي دائم متنوع متجدد لا ينقطع، والذين يوالونهم ويحبونهم سيلحقون بهم، وينعمون معهم بهذا كله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ ﴾ .

هذا نص القرآن الكريم فبأي حديث بعده يؤمنون ؟! .

[٢] يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢] .

وهكذا تتوالى أخبار القرآن العظيم، وشهادة الله العليم للصحابة ﷺ في تنوع وتعدد وشمول ينبئ بعظيم قدرهم ورفيع منزلتهم عند ربهم - وبالتالي

عند المؤمنين – لأنك إن أحببت أحداً تنوع مدحك له وإطراؤك إياه بكل ما هو له أهل من جميل النعوت وحسن الصفات، ومازلنا مع ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا** ﴾ محاولين الوقوف على بديع وعظيم صفاتهم وفضائلهم.

قال الله تعالى في هذه الآية : ﴿ **وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** ﴾ ، وقال سبحانه في سورة الأنفال : ﴿ **وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ فإن شئت قلت هم متلهفون على الجهاد في سبيل الله، وإن شئت قلت إنهم متلهفون على بذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وإن شئت قلتهما معًا، فلله درهم.

تشهد الآيات بوضوح وجلاء أنهم ﴿ **أَعْظَمُ دَرَجَةً** ﴾ هكذا مطلقًا، أعظم درجة من كل من سواهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، منزلة دونها سائر المنازل، فلا تدانيها سقاية الحاج، ولا عمارة المسجد الحرام؛ لأن هذا ليس ﴿ **كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ١٩] وعلى رأس هؤلاء الذين آمنوا وجاهدوا الصحابة بنص القرآن الكريم، ورغمت أنوف المنحرفين.

﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ هكذا بالتوكيد؛ لئلاَّ يكون لأحد حجة، ولئلا تبقى في نفس ضال شبهة فـ﴿ **هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ أي بالجنة والناجون من النار ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ [آل عمران : ١٨٥]، و ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** ﴾ لا يزول عنهم ولا يتحولون عنه ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ ففي خزائن الله تعالى : «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» .

وأخيراً فهم بنصِّ الآية قد حازوا الإيمان والهجرة والجهاد والإخلاص والفوز بالجنة والنجاة من النار، ناهيك عن كونهم هم بأعيانهم الذين ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** ﴾ فماذا يبقى من فضل بعد ذلك؟

وما عذر الضالين المنحرفين في تكفير أو سب أو لعن رجال هذه صفاتهم، وهذا – بنص القرآن – جزاؤهم؟ ولكن ما حيلتنا مع قوم لا يُسلمون لأحكام الله عز وجل إلاَّ فيما يوافق أهواءهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥].

[٣] يقول الله تعالى: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة: ٩٩، ٨٩].

وهذه الآية العظيمة صنو أختها من سورة الفتح ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ فهي قريبة منها جداً معنى وتركيباً، غير أن التكرار في القرآن الكريم لا يكون إلاَّ لفائدة... فما الفوائد الجديدة في هذه الآية الكريمة؟ وحتَّى نعرف ذلك يجب أن نطوف سريعًا في ظلالها.

فسنجد قوله تعالى: ﴿ لَكِنِ ﴾ وهي استدراك؛ لأن الآيات التي قبلها تتحدث عن المنافقين الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، ومن هنا جاء الاستدراك؛ لأن الصنف الذي يليه يختلف كل الاختلاف عن سابقه، فلئن كان الحديث قبل هذه الآية عن المنافقين، فهو هنا عن المؤمنين بل عن أكمل المؤمنين إيمانًا، ومن ثمَّ جاء السياق مستدركًا.

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ وهم بأعيانهم: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي فهم الصحابة كلهم بلا استثناء، وهم في آيتنا هذه موصوفون صراحة بالإيمان، ليس فقط، بل إن الله عز وجل يُخبر عنهم أنهم: ﴿ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ هكذا أخبر الله عز وجل ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]

بل هكذا شهد سبحانه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح : ٢٨] فهل نجد مسلمًا على وجه الأرض يشك في إخبار الله عز وجل، فضلاً عن أن يرد شهادته سبحانه؟!.

ثم إن هذا النص واضح الدلالة على أن الصحابة ﷺ كانوا يتنافسون في طاعة الله عز وجل، ويُسارعون لمغفرة منه ورضوان، باذلين في ذلك أنفسهم وأموالهم.. لذا فقد جعل الله عز وجل جزاءهم قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هكذا في توكيد وشمول، توكيد أفاده اسم الإشارة مع الضمير ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ مع التكرار مما يزيد التوكيد تقريراً والخيرات في الآخرة في جنات النعيم والدرجات العلى [١]؛ ولذا قال الله عز وجل بعدها: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بالجنة الناجون من النار؛ فطوبى لهم، والواو في الموضعين لم تأت حشواً - تنزه كلام ربنا عن ذلك- وإنما هي مع اسم الإشارة لإفادة الشمول والعموم، فلم تُغادر الآية أحداً من الصحابة ﷺ.

ثم يأتي البيان الإلهي الصريح الذي لا يدعنا لاجتهاداتنا ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إشارة صريحة بالجنة والخلود فيها، ولقد سمعوها بآذانهم من فم حبيبهم ونبيهم ﷺ فما عتوا، ولا طغوا ولا بدَّلوا، بل لم يزدادوا إلاَّ إيمانًا وتسليمًا وجهادًا وبذلاً وطاعة لله وتعظيمًا، فأكرم بهم من رجال عظماء، ثم إنه من سوء حظ المبطلين المشككين أن لا يجدوا في هذه الآية العظيمة على عمومها وشمولها ﴿من﴾ كالتي في أختها من سورة الفتح، والتي حرفوها عن معناها وجعلوا من تحريفهم هذا ذريعة للطعن في أصحاب سيد المرسلين ﷺ - كما سبق بيانه - فماذا هم قائلون في هذه الآية؟!.

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني مجلد (٢) صفحة (١٦٣).

عمومًا نقول نحن لهم: ارجعوا وتوبوا وتعلموا، ثم اعلموا أن أهل العلم الأثبات لا يستنبطون حكمًا شرعيًا في مسألة ما، من بعض نصوصها دون بعضها الآخر، بل لابد من جمع كافة النصوص الواردة في المسألة الواحدة لاستنباط الحكم الصحيح.

ومن الجمع بين هاتين الآيتين خصوصًا، وبين جميع الآيات الواردة في الصحابة عمومًا يتضح لنا بجلاء:

[١] أن ﴿ مِن ﴾ في آية الفتح هي لبيان الجنس لا للتبعيض.

[٢] أن الصحابة ﷺ كلهم أهل خير وإيمان وجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

[٣] أن الصحابة ﷺ أحرص الأمة بعد رسولهم ﷺ على طاعة الله عز وجل.

[٤] أن الصحابة ﷺ أحرص الأمة بعد رسولهم ﷺ على الإخلاص لله عز وجل.

[٥] أن الله عز وجل قد غفر للصحابة ﷺ ذنوبهم وكفَّر عنهم سيئاتهم، فلا يسعنا إلاَّ أن نتأسى بصوابهم، ونسكت عن أخطائهم وخلافاتهم وما وقع بينهم ﷺ.

وأحكام أخرى سبق بيانها في مواضعها من هذا الكتاب.

وأخيرًا: نقول لهؤلاء المبغضين للصحابة ﷺ المشككين في فضائلهم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع!!

[٤] يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿أ﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ فيها بيان فضلهم وسبقهم، خاصة وأنهم ﷺ قد تحملوا وبذلوا في سبيل نصرة دين الله تعالى ما لا تحتمله الجبال ولا يطيقه إلاَّ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فحملت لنا كتب السيرة أخبار جيل جعل الخيال واقعًا والأسطورة حقيقة معاشة ومشاهدة.

﴿ب﴾ ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فالقيد في قوله تعالى: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ خاص بالتابعين، أي يشترط فيهم؛ لينالوا الأجر والرضا أن يكونوا تابعين للصحابة ﷺ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ فهل معنى ذلك أن الإحسان ليس مشترطًا في الصحابة ﷺ؟ الجواب: أن الإحسان شرط في الصحابة وفي غيرهم، وإنما لم يذكر مع الصحابة؛ لأنه ثابت في حقهم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ولا يمكن أن يكونوا مؤمنين حقًا حتَّى يكون عملهم خالصًا، وحتَّى يكون عملهم موافقًا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حتَّى وإن اجتهدوا وأخطأوا فهم مأجورون.

والسؤال الآن: أبعد قوله تعالى في الصحابة والتابعين لهم بإحسان: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يجوز للمسلم أن يطعن في الصحابة ﷺ كافرًا بهذه الآية وبغيرها؟ وما حكم الراد على الله وعلى رسوله ﷺ، المُكذب لأخبار القرآن الكريم؟ فبينما يقول الله تعالى فيهم: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يقول هؤلاء الضالون المنحرفون «فلان – من الصحابة – لعنه الله»، ويقول أحدهم في كتاب معنونًا «المطاعن التي ذكرت في أبي بكر» و«المطاعن التي ذكرت في عمر»

و« مثالب عثمان » و« لعن معاوية بن أبي سفيان » كل هذا في كتاب واحد [١] ، ويقول أحد صبيانهم المعاصرين - وقد سموه بالأستاذ العلامة - في شريط له يقول ساخراً: « أبو هريرة، هذا التلميذ النجيب لكعب الأحبار اليهودي » بل يتمادى هذا الضال المنحرف في غيه فيقول: « أبو هريرة هذا وصمة عار في جبين اليمن » !! ومعلوم لدى المسلمين أن أبا هريرة ﷺ صحابي جليل، وأن كعب الأحبار تابعي أسلم في عهد عمر ﷺ وهما معًا تشملهما هذه الآية الكريمة. ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٥٠] .

[٥] يقول تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

[التوبة: ١١٧ - ١١٩].

أتدري من هؤلاء؟ وهل تدري ماذا؟ وكم عانوا في سبيل نصرة الله ورسوله في هذه الغزوة؟ ﴿ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ومع ذلك فـ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ تاب عليهم رغم ذلك كله.

ولعل المكذبين الضالين المنحرفين لا يدرون، أو يدرون ولكنهم يتجاهلون الأحكام التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة، وليس هذا جديداً عليهم - كانوا وما زالوا - يكذبون ويتجاهلون كل ما ورد في فضل الصحابة ﷺ من

---

(١) هو كتاب « الحق المبين » للمدعو السيد عبد الله شُبر .

آيات قطعية محكمة بيّنة واضحة كالشمس في كبد السماء ظهر صيف قائظ.

وعمومًا نقول لمن أراد الحق: نزلت هذه الآيات في غزوة العسرة - غزوة تبوك - والتي سميت بالعسرة لشدة ما لقي فيها المسلمون «وذلك أنهم خرجوا إليها في سَنَة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء، قال عمر: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش شديد، حتَّى ظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى وإن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتَّى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده» [مختصر تفسير ابن كثير (جـ٢ص١٧٥)].

فـ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ ﴾ عليهم ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ فرزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ورغم ذلك كله، فما زال الضالون المنحرفون يسبونهم ويلعنونهم ويكفرونهم !!!.

﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إنه سبحانه رءوف رحيم بكل المسلمين، ومع ذلك فقد قال هنا: ﴿ بِهِمْ ﴾ ليبين مقامهم عند ربهم وفضلهم في نصرة دينه رضي الله عنهم أجمعين.

ليس فقط، بل ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ ثلاثة لم يشهدوا الغزوة كسلاً، ولكن الله تعالى علم ما تنطوي عليه قلوبهم من الصدق والإيمان؛ فتاب عليهم رغم مخالفتهم تلك، بينما لم يتب على المنافقين الذين تخلفوا عن الغزوة نفسها، رغم أنهم اعتذروا، وقبل النبي ﷺ ظاهر عذرهم، وهذا هو الفارق الكبير بين المؤمنين والمنافقين.

[٦] يقول الله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

[الأحزاب: ٦].

والمعنى ظاهر واضح، وما كان يحتاج منَّا إلى زيادة توضيح، لولا تطاول هؤلاء الضالين المنحرفين، الذين لم يسلم منهم حتَّى أزواج المصطفى ﷺ أمهات المؤمنين بنص القرآن الكريم، ولم تتسع تأويلاتهم بل تحريفاتهم لأهل بيت المصطفى ﷺ، فأبوا إلاَّ الطعن فيهم؛ لينالوا منه ﷺ بعد موته كما حاول أسلافهم في حياته، ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٥] فمن إفكهم أن بعضهم يدعي أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: ١١] لم ينزل في عائشة رضي الله عنها، بل في مارية القبطية، ولا يخفى عليكم ما ينطوي عليه هذا الزعم الخبيث من إيماء وإيحاء بأن القرآن الكريم لم يبرئ عائشة رضي الله عنها، ناهيك عمن يصرح بذلك تصريحًا، ومن يجيز سبَّ عائشة رضي الله عنها.

بل لقد سمعت بأذني أحد هؤلاء الضالين المنحرفين في شريط له يقول عند شرحه لقوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤] قال: نزلت في عائشة وحفصة، و﴿ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي مالت إلى الكفر!!، ثم قال بسخرية يرد على عالم كان يفند ضلالاته: « ثم يأتي هذا ليدافع عنهما.. هل هي أمك أو خالتك »!..

عمومًا فالآية نص صريح في أن أزواج النبي ﷺ هنَّ أمهات المؤمنين، والذي يأبى أمومتهن فليس من المؤمنين، ويكفيه حكمنا عليه بما حكم به على نفسه، وقُضي الأمر.

[٧] يقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً(٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

ترى من يكون هؤلاء الذين رأوا الأحزاب، وزلزلوا زلزالاً شديداً، حتَّى يقول الرسول والذين معه: متى نصر الله؟، وحتَّى أن أحدهم ليخاف أن يخرج إلى الخلاء ليقضي حاجته!! .. من هؤلاء المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الأحزاب – في غزوة الخندق – ؟ أليسوا هم الصحابة؟!! وكم كان عددهم؟ ألم يكونوا بالآلاف؟ وهم بأعيانهم الموصوفون بالإيمان وبالتصديق وبالتسليم والرضا، ومتى كفروا وارتدوا، وهذه النصوص والأحكام ماضية إلى يوم الدين؟ ومن ذا الذي حكم بردتهم ؟ وقد تاب الله عليهم ووعدهم مغفرة وأجراً عظيماً، وبشَّرهم جنات تجري من تحتها الأنهار؟!.

وتصفهم الآيات بأنهم ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وللرجولة تبعاتها وخصوصيتها، وهي تختلف تماماً عن الذكورة؛ فالذكورة تكون في الفئران والحشرات، كما تكون في عموم الناس، أما الرجولة فلا تكون إلاَّ لمن شهد الله لهم بها؛ فالذكورة تكون حيث يكون حطام الدنيا ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١٧٦] أما الرجولة فتكون حيث يكون البذل والعطاء والصدق والبلاء ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ .

وصدق الشاعر حيث يقول :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
ويَعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وطالما شهد القرآن لهم بذلك، فهل يضيرهم أن يجحد فضلهم ضال منحرف؟ وهل يضير الشمس ألاَّ يراها من بعينه رمد؟ فهم صدقوا الله؛ لأنهم مخلصون، أما هؤلاء الضالون فقد كذبوا بآيات الله؛ لأنهم منافقون، وشتان!!

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ حتَّى هنا والنص عام، و﴿ مِنَ ﴾ هنا للتبعيض والمؤمنون كثير، في زمن النبي ﷺ وبعده إلى يوم الدين، فما الذي يجعلنا ندخل الصحابة فيهم، أهو تكلف منَّا؟ نعوذ بالله من ذلك، إنَّما يعد الصحابة داخلين في هذا العموم لأسباب منها:

﴿ أ ﴾ أن الصحابة رضي الله عنهم داخلون في عموم المؤمنين – قطعًا – لما سبق بيانه من النصوص وغيرها مما سوف يأتي..

﴿ ب ﴾ وورود نصوص صريحة في عموم الصحابة تدل على فضلهم وإيمانهم رضي الله عنهم.

﴿ جـ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ فلا شك أن المقصود بهذا هم الصحابة رضي الله عنهم.

﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ قال ابن كثير – رحمه الله – : «أي وما غيَّروا عهدهم أو بدَّلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين» [المختصر جـ٣ ص٨٩].

[٨] يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

﴿أ﴾ ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ﴾ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ﴾ لقد كفر من يكفرهم ويطعن عليهم بعد ذلك والله.

﴿ب﴾ وكما جاءت في سورة التوبة بالتوكيد ﴿لَقَد﴾ جاءت هنا كذلك؛ لئلاَّ يكون لضال حجة.

﴿جـ﴾ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكانوا ألفًا وأربعمائة، كلهم من الصحابة، وكلهم مؤمنون بنص الآية الكريمة، ومنهم بلا شك الثلاثة أو الخمسة أو السبعة، ولكن كيف يمكن لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أن يقصرهم على هؤلاء السبعة، بل إن هؤلاء الألف والأربعمائة ، كانوا هم كل الصحابة آنذاك.

وأما عثمان ﷺ الذي ناله من هؤلاء الضالين المنحرفين أذى كثير، فبحسبه من الشرف أن الرسول ﷺ بايع له بإحدى يديه على الأخرى، بل وشهد له بالصدق والإخلاص حيث قال عنه: «**لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتَّى أطوف**» مُجيبًا على قول من قال: «هنيئًا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ها هنا».

﴿د﴾ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء، وهل غير الله أحد يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور؟ علم – سبحانه – أن قلوبهم تنطوي على حب الله وحب رسوله ﷺ وعلى الصدق والإخلاص ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ ورزقهم طمأنينة النفس والرضا بما وقع يومئذ مما كانوا يرون فيه رأيهم قبل أن يعلموا أنه الوحي، فلما عرفوا أنه الوحي سلموا تسليمًا.

ثم أثابهم الله فتحًا عظيمًا جزاء إيمانهم وإخلاصهم وصلاحهم، ففتح الله عليهم خيبر ومكة، ودانت لهم جزيرة العرب، فهنيئًا لهم.

[٩] يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

[الحديد : ١٠]

﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم ﴾ أي من الصحابة ﴿ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ فهم الذين تم على أيديهم الفتح؛ ولذلك ﴿ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ ولكن، وكما هو صريح النص، وفصيح لسان العرب، فكلهم على خير؛ لأن أفعل التفضيل ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ تعني اشتراك المفضل مع المفضل عليه في الصفة وهي الدرجة العظيمة، فكلاهما إذن على خير، وذو درجة عظيمة ، فقط ﴿ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ .

بل إنَّ الله تعالى قد أخبر بفضل الجميع صراحة، ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ أي أن الله تعالى قد وعد بالثواب العظيم من أنفق من قبل الفتح، ومن أنفق من بعد الفتح، والحسنى هي الجنة، ومن هنا فقد ذهب ابن حزم – رحمه الله – إلى أن جميع الصحابة في الجنة مستشهداً بهذه الآية الكريمة (١) .

ومع أن المعنى واضح بلا لبس إلاَّ أن الذين أسلموا بعد الفتح قد نالهم من هؤلاء الضالين المنحرفين ما لم يكن لينالهم إذا لم يسلموا أصلاً!! وكأن جرمهم وذنبهم أنهم أسلموا، والدليل على ذلك أن المنافقين كعبد الله بن أُبي بن سلول لم يُتعرَّض لهم من قِبَل هؤلاء الضالين المنحرفين، بل إنهم ليشفقون على بعض المرتدين مثل مالك بن نويرة، حتَّى إن أحدهم ليقول: « المرتد هو من يقول إنَّ مالك بن نويرة مرتد » !!.

وأيًا ما كان الأمر فقد أخبر القرآن الكريم صراحة بفضل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وبفضل الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا: ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ أي الجنة ، وقال بعضهم : الثواب العظيم على أعمالهم.

---

(١) راجع – إنْ شئت – كتابه « الفصل » (جـ٤) (ص١٤٨، ١٤٩) .

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾

[المجادلة: ٢٢].

﴿أ﴾ فالإيمان وموالاة الكفار لا يلتقيان ولو كانوا آباء المؤمنين أو أبناءهم، ولقد نزلت الآية في عدد من الصحابة منهم: أبو عبيدة بن الجراح وأبو بكر الصديق ومصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث حين قتلوا أو هموا بقتل بعض أقاربهم من المشركين يومئذ، وكان ذلك في غزوة بدر، كما بينت في الباب الأول.

﴿ب﴾ نزول هذه الآية في بعض الصحابة لا ينفي عمومها وشمولها لكل من اتَّصف بهذه الصفات من المؤمنين إلى يوم القيامة.

﴿جـ﴾ ومن صفات الصحابة كما ورد في الآيات الكريمة:

[١] **﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾** أي جعله في قلوبهم.. فمن يملك محوه؟

[٢] **﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾** أي أيدهم بقوته ونصره .. فمن يقوى على حربهم؟

[٣] **﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** فإذا أدخلهم الله جناته ورضي عنهم، فلمَ نشغل أنفسنا بهم؟ ولمَ لا نشغل أنفسنا بهم؟ بمعنى: أليس الأولى بنا بدل أن ندرس سيرتهم من القرآن الكريم ومن السنة الصحيحة ومن كتب السيرة المحققة المعتمدة فما كان منهم من أخطاء سكتنا عنها؛ لأن الله قد غفر لهم وتاب عليهم؛ ولأن الخوض فيها لا يفيدنا بل يفرق صفوفنا ويمزق شملنا، وما كان منهم من

خير تأسينا بهم فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وحتَّى نفوز بما فازوا به ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ فالصحابة خاصة، والمؤمنون عامة الذين يتصفون بما سبق من الصفات هم حزب الله الذين يوفقهم الله ويهديهم للحق، وليس المقصود أن تطلق جماعة أو فرقة أو حزب أو جهة ما، هذا الاسم على نفسها ثم تدعي لنفسها هذا الفضل إذْ ليست العبرة بالأسماء وإنما بما يحمل أصحابها من العقائد وما يمارسون من الأقوال والأفعال.

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ حزب الله النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ومن بعدهم من المؤمنين الذين هم على هديهم ونهجهم لقوله ﷺ : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**» فحزب الله بهذه الضوابط هم المفلحون الفائزون في الدنيا والآخرة.

وهؤلاء في مقابل الذين ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة : ١٩] لأنهم كذَّبوا الله تعالى ورسوله ﷺ وردوا أحكام الله عز وجل فأبغضوا خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، بل طعنوا فيهم وكفَّروهم وتطاولوا عليهم، ولم يشفع لهم عشرات الآيات والأحاديث التي نصَّت على فضلهم وما أعدَّ الله لهم من النعيم المقيم بعد مغفرته لهم ورضاه عنهم، كل ذلك لأن الحقد والحسد قد استولى على قلوب هؤلاء الضالين المنحرفين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المجادلة : ٢٠] .

[١١] **يقول الله تعالى:** ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

هذه الآيات الكريمة تحدد مصارف الفيء حيث جاء قبلها قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٨].

ومصارف أموال الفيء في هذه الآية هم: فقراء المهاجرين، فقراء الأنصار، عموم فقراء المسلمين، والذي يعنينا في مقامنا هذا، ما نصَّت عليه الآية من أوصاف وفضائل الصحابة ﷺ حيث نجد فيها ما يلي:

﴿أ﴾ تقديم المهاجرين على الأنصار في كل موضع يذكران فيه معًا وكذلك في هذه الآية.

﴿ب﴾ فقراء المهاجرين هم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيل الله، فهم مخلصون في عملهم هذا لله عز وجل - بنص الآية - وفي ذلك رد على من زعم من الضالين المنحرفين أن المسلمين والصحابة قبل الهجرة لم يبذلوا شيئًا؛ لأنهم - حسب زعمه المريض - ما كانوا ليجدوا ما يبذلون من أجله!!.

﴿جـ﴾ وفقراء المهاجرين أعزوا دين الله تعالى؛ لأنهم بهجرتهم إنما ينصرون الله ورسوله؛ ولذا فقد نعتهم الله بقوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ هكذا بالتوكيد.

﴿د﴾ يخبر الله تعالى عن الأنصار بأنهم يُحبون إخوانهم المهاجرين، فلم يكن بينهم حقد ولا غل ولا حسد، وإنما كان ما وقع بينهم بسبب اجتهاداتهم

في أمور خلافية رأي كل فريق منهم أنه على الحق فقاتل دون الحق الذي يعتقده.

﴿هـ﴾ بل كان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم رغم الخصاصة والحاجة، فوقاهم الله شحَّ أنفسهم وجعلهم من المفلحين.

﴿و﴾ ثم يأتي ذكرالذين جاءوا من بعدهم بشروط حددتها الآية الكريمة تحديداً واضحًا، منها: أنهم يستغفرون للذين سبقوهم من المهاجرين والأنصار، أي من الصحابة ﷺ، ويستعيذون بالله عز وجل من أن يكون في نفوسهم غل لهم، وذلك يدل على سلامة صدورهم وسرائرهم، وبالتالي ظواهرهم نحو إخوانهم السابقين من المهاجرين والأنصار؛ فاستحقوا أن يُعطفوا عليهم وأن ينالوا مثلهم من خير الدنيا – الفيء – ومن خير الآخرة – الرضوان والجنة – كما صرح القرآن الكريم بذلك تصريحًا لا يدع مجالاً لأحد بالطعن في خير القرون، إلاَّ من عمى بصره وبصيرته ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] فهو لا ينتفع بشيء من الحق مهما كان واضحًا بيّنًا.

فتوى:

وقد استنبط مالك – رحمه الله – من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ حكمًا مهمًا يدل على سلامة فهمه ورجاحة عقله.

بل إن ابن كثير – رحمه الله – وافقه على ذلك، حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: «.. فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية .. وما أحسن ما استنبطه الإمام مالك – رحمه الله – من هذه الآيات الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء» [مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤٧٥].

وليس الإمام مالك متفردًا بذلك، فهذا الإمام الشنقيطي – رحمه الله –

يُدعى لمناظرتهم فيرفض قائلاً: «نتناظر إذا كنَّا أصحاب أصول واحدة، فكيف ونحن أصحاب دين وهم أصحاب دين آخر»، وكذلك يقول عنهم الإمام الشافعي – رحمه الله – : «هم أكذب الناس حديثًا وأشدهم زورًا» وقد سبق أن ذكرت حكم الإمام مالك فيهم والذي استنبطه من قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ حيث قال ابن كثير: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك – رحمه الله – بتكفير الروافض الذين يُبغضون الصحابة ﷺ، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر بهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك» اهـ [مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٥٥].

قلت:

[١] والحق الذي ينبغي التنبه له أن الذين يخوضون في الصحابة ﷺ ويطعنون فيهم سينتهي بهم المطاف حتمًا إلى دين آخر غير الإسلام – وقد حصل – وسوف يأتي بيان ذلك مفصلاً في موضعه من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى، وما أحسن ما قاله ابن كثير – رحمه الله – في آخر تفسير سورة الفتح: «وكل من اقتفى أثر الصحابة ﷺ فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ﷺ وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم».

[٢] من شروط إيمان من بعدهم، أن يحبوهم – أن يحبوا الصحابة – ويستغفروا لهم ﷺ.

الباب الرابع

بعض الأحاديث التي وردت في بيان فضل الصحابة ﷺ

وفي الصفحات القليلة القادمة – بإذن الله – سنعرض عرضًا سريعًا لبعض الأحاديث الصحيحة عن المصطفى ﷺ في فضل عموم الصحابة ﷺ مع الإشارة إلى عدد آخر من الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحابة بعينهم تاركين للقارئ الرجوع إليها في مصادرها التي سأذكرها في موضعها من البحث؛ حتَّى يتسنى له الوقوف على الحق واتباعه، وإلاَّ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس: ٣٢].

توطئة :

قد يحتج البعض بأن للقوم كتب حديث يستشهدون منها وهي عندهم غير كتبنا؛ فهم يحتجون بها دون غيرها مما عندنا.

والجواب عليهم من وجوه منها:

(أ) أن كتبهم التي يقولون إنها أصح كتب الحديث، وأن كل ما فيها صحيح تشتمل على عشرات الأحاديث التي ينسبونها كذبًا إلى أئمة أهل البيت ﷺ وتنص على أن القرآن محرف وكتب هذا شأنها لا تصلح لشيء من الاحتجاج، حتَّى وإذا سلمنا جدلاً بأن بعض الأحاديث ضعيفة، أو موضوعة، كما يقول مجادلوهم عند الاضطرار – تقية وكذبًا – مع أن علماءهم لا ينصون على ذلك، ولكن لو سلمنا لهم بذلك؛ فإن عنونة المؤلف للباب بما يفيد صحته يعني أنه معتقد له – أي لما أورد فيه من روايات تنص على تحريف القرآن الكريم – وهذا كاف لكفره إجماعًا ورد كتابه قولاً واحداً.

على أننا لا نقول إن الأئمة من أهل البيت ﷺ هم أصحاب هذه الأقوال الباطلة، بل نحن على يقين من أنهم يكذبون عليهم وينسبون هذه الأقوال الباطلة – كذبًا – إليهم، ولا عجب في ذلك فهؤلاء الضالون المنحرفون يكذبون على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ .

﴿ب﴾ أن تلك التي يسمونها أحاديث ويوردونها في كتبهم لا تنتهي إلى النبي ﷺ في أكثرها، بل إن ما يزيد على ثلثي تلك الأحاديث – على قولهم – تنتهي إلى أئمة أهل البيت ﷺ، وذلك بناء على قاعدة القوم الخاطئة في العصمة للأئمة، وهذا باطل غير صحيح، كما سنُبينه في موضعه إن شاء الله تعالى.

ثم إنهم حين ينسبون هذه الأقوال للأئمة، إنما يفعلون ذلك ليسهل لهم الكذب عليهم، فيضعون بين الحين والحين ما يسمونها أحاديث وينسبونها إليهم؛ ليسوغوا للمغفلين والجهلة عقائدهم الباطلة، المتقلبة والمتطورة مع الزمن حسب ما يواجههم من الظروف والمستجدات وبخاصة تلك الأحاديث التي ينسبونها إلى «السرداب» وما أدراك ما السرداب؟ وكم كذبوا عليه باسم «الأبواب» !!!

والآن ، إلى ما سبق أن وعدت به من طائفة عطرة من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين جانبًا من فضائل الجيل الرباني، جيل الصحابة ﷺ أجمعين.

[١] **قال ﷺ** : « . . **وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » [من حديث طويل « اللؤلؤ والمرجان » (برقم ١٦٢٢) القسم السابع (ص١٦٥، ١٦٣)] .

وهو من حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قد قبل عذر حاطب مع أنه أتى أمراً عظيماً، وكبيرة لا يُستهان بها، غير أن الأمر كان كما قال هو نفسه : « وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضى بالكفر بعد الإسلام » فقال رسول الله ﷺ : « **لقد صدقكم** » .

ويُفهم من ذلك أن الله عز وجل يغفر للمؤمن وإن أتى كبيرة من الكبائر طالما أنَّ أصل الإيمان مستقر في قلبه، وطالما أن سائر عمله موافق للإسلام ولأصول الدين، وهنا يحضرني قول أحد العلماء - ولعله الشيخ عبد الرحيم الطحان - إذا وقع إنسان في مخالفة شرعية ينظر في حاله، فإنه كان من أهل الصلاح والإيمان، ينصح مع إحسان الظن به، وإن كان من أهل البدع ومن أهل الضلال من أصحاب الفرق الضالة يحذر منه ومن ضلالته . . انتهى كلامه .

قلت : وهذا حق يدل عليه أن الله عز وجل قَبِل عذر الثلاثة الذين خلفوا، بينما لم يقبل أعذار المنافقين، وكذلك فإن النبي ﷺ هنا قد قبل اعتذار حاطب رضي الله عنه ، بل قال معقباً : « **لقد صدقكم** » .

وفي الحديث أن الله عز وجل قد جعل لأهل بدر خصوصية، كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ④ ﴾ [النجم : ٤]، « **وما يدريك لعل الله أن يكون اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » و« **لعل** » في الحديث للتحقيق، بدليل أنه ﷺ قد برَّأ حاطباً رضي الله عنه وقبل عذره، بل وشهد بصدقه حين قال : « وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام » .

وليس المقصود بقوله ﷺ: «.. **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**..» أن هذا إذنٌ لهم بتعمد المخالفات الشرعية؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر، بل المقصود أن الله تعالى قد وكلهم إلى إيمانهم المستقر في قلوبهم ﴿**أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢] وهذه في البدريين أيضاً، ولا عجب؛ فهم أهل لكل خير، وهذا وسام شرف آخر يُضاف لهم، رغب من رغب، وأبى من أبى!.

ومعلوم أن أهل بدر هم المهاجرون والأنصار، بل هم ببساطة: كل الصحابة يومئذ، عدا أصحاب الأعذار، ومن أذن لهم النبي ﷺ بالمكث في المدينة كعثمان بن عفان رضي الله عنه، وإن تعجب فعجب لهؤلاء الضالين المنحرفين الذين يعدون من مثالب عثمان رضي الله عنه أنه لم يشهد بدراً، مع أن الذي أمره بالبقاء في المدينة وهو رسول الله ﷺ!!.

[٢] حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار**» [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٢٩) القسم السابع (ص١٧٥)].

هذه دعوة رسول الله ﷺ للأنصار كل الأنصار، لا مجرد سبعة كما يزعم الضالون المنحرفون، وإنَّ الذي يأبى دعوة رسول الله ﷺ يُصبح كهذا الرجل الذي أصابته الحمى فدعا له رسول الله ﷺ قائلاً: «**طهور**» فقال الرجل: «**ما طهور؟ بل حمى تفور بالشيخ الكبير، فتزيره القبور**». فقال ﷺ: «**هي كما قلت**»، والنبي ﷺ مجاب الدعوة، فقد فاز الأنصار بالغفران، وباء الضالون المبغضون بالخسران.

[٣] حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: رأي النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين من عرس، فقام النبي ﷺ مُمثلاً فقال: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ**» قالها ثلاث مرات. [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٣٠) القسم السابع (ص١٧٦)].

وهذا نص صريح في الأنصار - كل الأنصار - وأنهم من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وبالتالي إلى كل مؤمن، ويستحيل عليه ﷺ أن يحب منافقًا؛ لقوله عز وجل: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [التوبة: ٦٧] كما يستحيل عليه ﷺ أن يُحب مرتدًا، فما حجة الضالين والمنحرفين الذين يزعمون أن الصحابة عدا سبعة منافقون ومرتدون؟! وهل نأخذ بكلامهم أم بكلام رسول الله ﷺ، بل كلام الله عز وجل في مدحهم والثناء عليهم والشهادة لهم بالإيمان والإخلاص والجنة؟!.

ولعلّ قائلاً يقول : «إنَّ الحديث لم ينص على أن النساء والصبيان من الأنصار».

قلت: الحديث الذي بعده (رقم ١٦٣١) ينص على أنهم من الأنصار.

فإن قيل: «هذا غير ذلك».

قلنا: إذًا الحديث الأول يحتمل أن النساء والصبيان المذكورين فيه هم من المهاجرين والأنصار معًا، فيكون الحديث أشمل وأعم ويُصبح شاملاً لجميع الصحابة رضي الله عنهم وليس للضالين المنحرفين فيه حجة، بل هو عليهم الحجة البالغة.

[٤] حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : عن النبي ﷺ : «**الأنصار كرشي وعيبتي، والناس سيكثرون ويقلون؛ فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**» [اللؤلؤ والمرجان (رقم ١٦٣٢) القسم السابع (ص١٧٧)].

«**الأنصار**» هكذا بالنص، لا يحتمل تأويلاً ولا تحريفًا، «**كرشي**» أي جماعتي، «**وعيبتي**» أي موضع سره ﷺ، فهل بعد هذا الشرف من شرف؟! وما رأي هؤلاء الضالين المنحرفين ؟! وفي آخر الحديث أمر صريح « .. **وتجاوزوا عن مسيئهم**» لم لا؟ وهذا أمر صريح منه ﷺ ، بل لمَ لا وقد تاب الله عليهم، ورضي عنهم، ووعدهم مغفرة وأجرًا عظيمًا؟!، وأين موقع الضالين المنحرفين

الذين يسبونهم ويلعنونهم، بل ويكفرونهم من أمر الله ورسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: «.. **وتجاوزوا عن مسيئهم**» ؟!!.

[٥] **حديث أبي أسيد** رضي الله عنه : «**خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بنو خزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير**» [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٣٣) القسم السابع (ص١٧٨)].

فهل يحتاج الصبح لبيان؟! وهل يضير الشمس ألاَّ يراها من بعينيه رمد؟! «وفي كل دور الأنصار خير».

[٦] **حديث عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**» [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٤٦) القسم السابع (ص١٨٨)].

[٧] **حديث عمران بن حصين** رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» قال عمران: لا أدري أذكرَ النبي ﷺ بعد مرتين أو ثلاثة ، قال النبي ﷺ : «**إنَّ بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**» [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٤٧) القسم السابع (ص١٨٨ – ١٨٩)].

يا أيها الملأ، احكموا بيننا وبين هؤلاء الضالين المنحرفين؛ فإذا لم يصلح من خير القرون إلاَّ سبعة – على الأكثر – فهل يكون في غيرها مسلمون؟! بل، فمن يُجيبني على هذه الأسئلة؟!.

ماذا كان يصنع رسول الله ﷺ قرابة ربع قرن، وهو الذي يُباهي ويكاثربنا الأمم يوم القيامة؟ وهل يُقال إنه ما نجح في تربية أمة هي بنص القرآن الكريم: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وهل يكون رسول الله ﷺ أقل

شأنًا من ماركس ولينين وإنجلز، وما يزال مئات الآلاف، بل الملايين إلى يومنا هذا يموتون في سبيل دعوتهم الباطلة مُخلصين لها على ضلالها؟! بينما يزعم الضالون المنحرفون أن أصحاب محمد النبي الرسول المؤيد بالوحي صاحب دعوة الحق ودين الحق قد ارتدوا بعد موته مباشرة؟!، أم أنَّ مراد هؤلاء الضالين المنحرفين هو تشويه صورة الرسول ﷺ حيث يُظهرونه بصورة كهذه، فهو كما يصورونه يفشل في القيام بأهم وأدق واجباته كرسول!! فلا هو - بزعمهم - نجح في الحفاظ على القرآن من التحريف، ولا في تربية أصحابه، ناهيك عن خير أمة أخرجت للناس - وخلاصة مزاعمهم - ولا في إبلاغ ما نزل إليه من ربه.

هل يراد القول: إن أحداً غير النبي ﷺ سينجح فيما لم ينجح هو فيه؟ وقد أشار بعضهم لمثل ذلك؛ حيث زعم في كتاب شهير له أن النبي ﷺ لم ينجح في تحقيق عالمية الإسلام!! بل زعموا أكثر من ذلك مزاعم يشيب لهولها الولدان.

وهل يبقى مع حسبة الـ«سبعة» معنى لقوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] وإلا فمن يكون المخاطبون في هذه الآية؟!.

ثم أليس من البدهي بعد ذلك أن يقول هؤلاء إن القرآن الكريم محرف كما يزعم هؤلاء الضالون المنحرفون أن الذين عُهد إليهم بحفظه ونقله قد ارتدوا وكذبوا على ورسوله ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [الكهف: ٥] ومزاعمهم هذه كذب على الله ورسوله وعلى الصحابة، ونحن نسأل: الذي يرد كلام الله ورسوله ﷺ يكون ماذا؟

[٨] حديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ عضُّوا عليها بالنواجذ» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وراجع جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص٢٥٧) حديث رقم (٢٨)].

تأمل، الخلفاء الذين من بعده ﷺ هم خلفاء راشدون مهديون.. فيمَ يلقى

الله من سبهم أو لعنهم، بل من كفَّرهم، وقال فيهم: «صنما قريش وجبتها وطاغوتها» رادًا كلام رسول الله ﷺ، ثم يدعي أنه مسلم؛ بل من أئمة المسلمين؟!! فقوله ﷺ: «.. **من بعدي**» ينص صراحة على أنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وهذا المعنى تحديدًا هو ما تفيده «مِنْ» في الحديث، أم سيزعمون أنها «للتبعيض» أيضًا؟! والحديث ينص صراحة على أن هذه الخلافة راشدة منهجها هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأنها مهدية قد هداها الله بهداه ﴿**وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ**﴾ [الزمر: ٣٧].

ولم يقتصر الأمر على تحديد الخلفاء الراشدين وبيان فضائلهم ومناقبهم، بل إن الأمر صريح بوجوب لزوم هديهم رضي الله عنهم «**عليكم** - أي الزموا - **بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» ليس فقط، بل و «**عضوا عليها بالنواجذ**» وهو أشد ما يكون الحرص والتَّمسك والاتباع.

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى أنَّ كثيرًا من علمائنا يعدون خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما خلافة راشدة، ثم إن قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء..**» لا يعني وجود سنتين متباينتين، ولا أن للخلفاء الراشدين سُنَّة تخالف سُنَّة النبي ﷺ، بل المراد لزوم طريقتهم الموافقة لسنة النبي ﷺ، بل إنَّ في النص شهادة لهم بأنهم لن يخالفوا - متعمدين - هدي النبي ﷺ باتباع سنة تخالف سنته ﷺ، يُؤكد ذلك قوله ﷺ في آخر الحديث: «**عضوا عليها بالنواجذ**» ولم يقل: «..عليهما»؛ لأن المراد سُنَّةً واحدة هي سُنَّة النبي ﷺ، ثم يأتي الصحابة بعد ذلك تابعين لها..

وقُلْ مثل ذلك في حديث: «**تركتُ فيكم ما إن تمسَّكتم به فلن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي**» وذلك على رواية «**وعترتي أهل بيتي...**» حيث لا يقول عاقل إن لأهل البيت رضي الله عنهم هديًا ولا سنة ولا طريقة ولا دينًا يُخالف هدي أو سنة أو طريقة أو دين محمد ﷺ، وعلى ذلك فلا جديد ولا حجة يتمسك

بها أصحاب رواية « . . **كتاب الله وعترتي، أهل بيتي**» لأن المراد ببساطة ووضوح أن أهل بيته سيكونون ملتزمين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بل هم أولى الناس بذلك، وقد كانوا كذلك ﷺ لولا أن بعض الضالين المنحرفين نسبوا إليهم كذبًا ما لم يقولوه ولا يليق بهم، غير أنَّ أهل الحق يعرفون لأهل البيت ﷺ قدرهم، ولا يغير من قدرهم هذا عندهم افتراءات هؤلاء الضالين المنحرفين عليهم؛ لأن لأهل الحق مصادرهم الصحيحة التي يعتمدون عليها في إثبات الحق، وسوف نتناول الكلام عن أهل البيت في مبحث خاص بهم يحمل اسمهم « أهل البيت ﷺ » حين يتيسر ذلك إن شاء الله تعالى.

[٩] حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فلو أنَّ أحدكم أنفقَ مثل أُحُد ذهبًا، ما بلغ مدَّ أحدهم، ولا نصيفه**» [اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٤٩) القسم السابع (ص١٩٠)].

أنجد نهيًا أوضح أو أصرح من هذا؟ هل من قول بعد هذا حتَّى يرعوي من في قلبه مرض؟ ماذا يريد هؤلاء الضالون المنحرفون، ماذا يريدون أكثر من ذلك، إنه نهي صريح، «**لا تسبوا أصحابي**» وبنفس الأسلوب الواضح الصريح الفصيح يُعلل ﷺ سبب هذا النهي، والذي يتمثل في بلوغهم قمة أصبح من المستحيل على أحد بلوغها، حتَّى وإن فعل المستحيل « فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا» إنَّ هذا هو المستحيل عينه، ولكنه ليس مقصودًا لذاته، إنَّما ليدل على مستحيل آخر لا يقل عن هذا، ألا وهو أن يمني أحد نفسه أن يكون كأحد من الصحابة «**فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

إن الحديث لا ينفي أن يصنع بعض المؤمنين كما صنع بعض الصحابة، ولكنهم رغم ذلك لن يبلغوا مدَّ أحد الصحابة ولا نصيفه، ليس فقط إن فعلوا مثل الصحابة، بل لو أنفق كلٌّ منهم مثل أحد ذهبًا؛ فهم - أي الصحابة ﷺ - هم السابقون الأولون، ولهم فضل السبق الذي لا يدانيهم فيه أحد - أيّ أحد -

من الناس بعدهم؛ فالصحابة ﷺ قد سبقت لهم من الله الحسنى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣] وأمَّا مبغضوهم من المنافقين الضالين المنحرفين فـ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) ﴾ [المنافقون: ٦] ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾ [المنافقون: ٨] ، ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾ [النساء: ١٤٥].

فنسأل الله السلامة.. ونعوذ به سبحانه من مسائر ومصائر المنافقين، ونسأله عز وجل أن يرزقنا حبه، وحب نبيه ﷺ، وحب الصحابة ﷺ أجمعين، وأن يحشرنا معهم ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ [النساء: ٦٩] اللهم آمين (١).

(١) يمكنك الرجوع إلى كتاب «اللؤلؤ والمرجان» فيما اتفق عليه الشيخان من صفحة (٨٣) إلى (١٩٢)، فستجد فيها الكثير من الأحاديث الصحيحة المتفق عليها في بيان فضل الصحابة ﷺ، بعمومهم وبتعيين بعضهم ﷺ أجمعين.